

1997-1998 2000-2001

رَفَعُ

عبد الرحمن البخاري  
أسكنه الله الفردوس

[www.moswarat.com](http://www.moswarat.com)

# موسيقى اللغة

الدكتور

رجب عبد الجواد إبراهيم

كلية الآداب - جامعة حلوان

الناشر

مكتبة زهراء الشرق

١١٦ ش محمد فريد - القاهرة

تليفون ٣٩٢٩١٩٢

حقوق الطبع محفوظة

موسيقى اللغة

الدكتور / رجب عبد الجواد إبراهيم

الأولى

١٣٠٢٣

I. S. B. N

977 - 314 - 177 - 2

٢٠٠٣

مكتبة زهراء الشرق

١١٦ ش محمد فريد - القاهرة

القاهرة - جمهورية مصر العربية

٣٩٢٩١٩٢ - ٠١٢/٣١٧٧٥١٠

٣٩٢٩١٩٢ - ٣٩٣٣٩٠٩

اسم الكتاب

اسم المؤلف

رقم الطبعة

رقم الإيداع

الترقيم الدولي

سنة النشر

الناشر

عنوان الناشر

بلد الناشر

التليفون

فاكس

## تقديم

إن مما تتميز به لغتنا العربية حرصها على الحسن الجمالى ، عن طريق إمتاع الأذن بما تحققه من جمال لفظى وتراكيب موسيقية ؛ فابن فارس ينبه إلى الفكرة الجمالية التى تحرص عليها ألفاظ وتراكيب اللغة العربية ، حتى لو أدت إلى مخالفة القاعدة ، فالغداة لا تُجمع على الغدايا ، وإنما تجمع على الغدوات ، ولكنهم لما قرئوها بالعشايا جاءت على وزنها لكى تتناسب معها ، واسم الفاعل من أَلَّت إنما يكون : مُلِمَّة ولكنها لما قُرئت بالسامة جاءت على وزنها فصارت اللامة فى قولهم : أعوذ بك من السامة واللامة ، والمأجورات مهموزة والموزورات بالواو ، ولكن لما اقترنا جاءت الموزورات مهموزة أيضاً لتحاذى : المأجورات فى قوله عليه الصلاة والسلام : ارجعن مأزورات غير مأجورات ، وما الإتياع بين الكلمات : شيطان ليطان ، حيص بيص ، حسن بسن إلا دليل حرص اللغة على الإيقاع والاهتمام بالموزونات التى تستريح إليها الأذن حتى ولو لم تكن لها إضافة كبيرة فى المعنى .

إن الحسن الجمالى تحرص عليه اللغة العربية فى بنيتها وتراكيبها ، وقد تضحى بالقواعد الإعرابية المتعارف عليها ، إذا تخصصت هذه القواعد مع فكرة الحسن الجمالى ، وكنت أتعجب من النحويين حين يقولون إن الجر أنواع : الجر بالحرف والجر بالإضافة والجر بالتبعية والجر بالمجاورة ، وأقف عند هذا الأخير : الجر بالمجاورة فأجدنى أمتدُّ بالمجاورة إلى معانى أرحب وأوسع وأعمق مما يذكره النحويون ، من أنه قد يؤخذ الجار بجزم الجار ، وإنما أجد المجاورة وليدة الحسن الجمالى فى العربية ، وهذا ما أكدّه ابن الصائغ فى كتابه : إحكام الراى فى أحكام الآى بقوله : اعلم أن المناسبة أمر مطلوب فى اللغة العربية ، يُرتكب لها أمور من مخالفة الأصول ، وقد تتبعت الأحكام التى وقعت فى آخر الآى مراعاة للمناسبة ، فعثرت منها على نيف وأربعين حكماً .

إن الكلام الموزون ذا النغم الموسيقى يثير فينا انتباهًا عجيبًا ؛ وذلك لما فيه من توقع لمقاطع خاصة تنسجم مع ما نسمع من مقاطع ، كما يساعدنا على تذكره وترديده دون إرهاق للذاكرة ، ولذا كان حفظ الشعر وتذكره أيسر وأهون من النثر ، لما فى الشعر من انسجام المقاطع وتواليها بحيث تخضع لنظام خاص فى هذا التوالى .

وهذا الكتاب يعرض لظاهرتين مهمتين من ظواهر موسيقى اللغة ، يتناول الفصل الأول ظاهرة المحاذاة فى اللغة العربية على المستوى الصوتى والصرفى والنحوى ، ويتناول الفصل الثانى ظاهرة الجمل المتوازية وجذورها فى التراث اللغوى ، ويطبّق ذلك على علم من أعلام الأدب فى مصر فى العصر الحديث ؛ وهو طه حسين ، فى رواية من رواياته ، وهى أحلام شهر زاد .

والله ولى التوفيق ،

د. رجب عبد الجواد

## الفصل الأول

### المحاذاة في اللغة العربية





## الفصل الأول

### المحاذاة في اللغة العربية

## المدخل

المحاذاة ظاهرة صوتية، صرفية، نحوية، دلالية ، ولعلَّ أول مَنْ استعمل هذا المصطلح في العربية هو اللغوي أحمد بن فارس (ت ٣٩٥ هـ) عندما عقد لها باباً في كتابه الصحاحي سمَّاه : باب المحاذاة<sup>(١)</sup> ، وعرفها بقوله : معنى المحاذاة أن يُجعل كلامٌ بحذاء كلام ، فيؤتى به على وزنه لفظاً وإن كانا مختلفين ، ومثَّل لها بقولهم : « الغدايا والعشايا » ، فقالوا الغدايا لانضمامها إلى العشايا ، والغداة لا تُجمع على الغدايا ، وإنما تُجمع على غدوات لا غير ، ولكنهم كسروه على ذلك ؛ ليطابقوا بين لفظه ولفظ العشايا ، فإذا أفردوه لم يكسروه ، ومثَّل لها أيضاً بقوله عليه الصلاة والسلام يُعوذُ الحسن والحسين : « أعيذكما بكلمة الله التامة ، من شرِّ كلِّ سامة ، ومن كل عين لامة » ، فالسامة من الفعل الثلاثي سَمَتَ ، والامة من الفعل الرباعي : أَلَمَ ، وكان القياس يقتضي أن يقول : مُلِمة ، ولكن لما قُرِنت بالسامة جعلت على وزنها<sup>(٢)</sup> .

(١) الصحاحي بتحقيق عمر فاروق الطباع ص ٢٣١ وما بعدها .

(٢) اللسان : غدو ، لم ، مسند ابن حنبل ٢٢٦ ، ٢٧٠ ، الجامع الصحيح للترمذي ١٨ .

وقد سمّاها بعض اللغويين : المزاوجة أو الازدواج ، فأحمد بن فارس نفسه وضع كتاباً سمّاه : الإتياع والمزاوجة<sup>(١)</sup> ، ساق فيه كثيراً من الكلمات التي تُدرج تحت المحاذاة أيضاً ، كما عقد ابن قتيبة (ت ٢٦٧ هـ) في كتابه : أدب الكاتب باباً سمّاه : باب تأويل المستعمل من مزدوج الكلام ، ومن أمثلته : له الطَّمُّ والرَّمُّ ، لا يعرف هراً من برٍّ ، القومُ في هِياطٍ ومِياطٍ ، ما به حبَضٌ ولا نبَضٌ ، وهو لك حلٌّ وبِلٌّ ، هو لا يُدالسُ ولا يُؤالسُ<sup>(٢)</sup> .

كما سمّاها أصحاب المعاجم العربية في مواضع متناثرة : الازدواج ، والتزواج ، والمزاوجة ، ففي ديوان الأدب للفارابي (ت ٣٥٠ هـ) : « يقال : أخذني من ذلك ما قدّم وما حدّث ، لا يُضمُّ حدّث في شيءٍ من الكلام إلا في هذا الموضع ، وذلك لمكان الازدواج<sup>(٣)</sup> .

وفي صحاح الجوهري (ت ٣٩٣ هـ) : يُقال : تَعَسَّأَ له ونَكَسَّأَ ، وإنما هو نَكَسَ بالضم ، وإنما فُتِحَ هنا للازدواج . وفيه أيضاً : وهَنَأَنِي الطعام ومرَأَنِي ، إذا أتبعوها هنأني قالوها بغير ألف ، فإذا أفردوها قالوا : أمرَأَنِي<sup>(٤)</sup> .

وفي لسان العرب لابن منظور (ت ٧١١ هـ) : قال ابن مقبل :

هَتَاكَ أَخْبِيَّةٌ وَلَآجٍ أَبُوبَةٍ      يَخْلُطُ بِالْبِرِّ مِنْهُ الْجِدُّ وَاللَّيْنُ

فإنما قال : أبوبة للازدواج لمكان أخبية ، ولو أفرده لم يَجُزْ . وفيه أيضاً : له عندي ما سَاءَ ونَاءَ ، وإنما قال : ناء ، وهو لا يتعدى ؛ لأجل سَاءَ ، فهم إذا

(١) الإتياع والمزاوجة بتحقيق د. كمال مصطفى ، مكتبة الخانجي ، القاهرة ، ١٩٥٤ .

(٢) أدب الكاتب بتحقيق علي فاعور ص ٤١ - ٤٤ .

(٣) ديوان الأدب بتحقيق د. أحمد مختار عمر ، باب فَعُلَ .

(٤) الصحاح بتحقيق د. أحمد عبد الغفور عطار : نكس ، هنا .

أفردوا قالوا : أَنَاءَهُ ، لأنهم إنما قالوا : ناءه ، وهو لا يتعدى لمكان ساءه ليزدوج الكلام<sup>(١)</sup> .

وفى تاج العروس للزبيدي (ت ١٢٠٥ هـ) : وأما قوله ﷺ لزائرات القبور : «ارجعن مأزوراتٍ غير مأجورات» ؛ أى آثِمَاتٍ ، والقياس : موزورات فإنه للازدواج ؛ أى لما قابل الموزور بالمأجور قلب الواو همزة ليأتلِف اللفظان ويزدوجا<sup>(٢)</sup> .

وقد سَمَّى الثعالبي هذه الظاهرة بالمجاورة ؛ وقد عقد فى كتابه : فقه اللغة وسر العربية فصلاً سَمَّاهُ : فى الحمل على اللفظ والمعنى للمجاورة ، وساق أمثلة منها : هذا جُحْرٌ ضَبٌّ خَرِبٌ ، بكسر كلمة «خرب» رغم أنها نعت للجُحْر لا نعت للضَبِّ ، وقول امرئ القيس :

كَأَنَّ ثُبِيرًا فى عرَانِينَ وَبِلِهِ      كَبِيرُ أَنَاسٍ فى بَجَادٍ مُّزَمَّلٍ

بخفض كلمة «مُزَمَّلٍ» رغم أنها نعت للشيخ لا نعت للبجَاد<sup>(٣)</sup> .

وسمَّاهَا فى موضع آخر من كتابه : حفظ التوازن ، وعقد فصلاً لها بقوله : العرب تزيد وتحذف حفظاً للتوازن وإيثاراً له ، أما الزيادة فكما قال الله تعالى : ﴿ وَتَظُنُّونَ بِاللّٰهِ الظَّنُّونَا ﴾ ، وكما قال : ﴿ فَأَضَلُّونَا السَّبِيلَا ﴾ ، أما الحذف فكما قال جلَّ اسمه ﴿ وَاللَّيْلَ إِذَا يَسَّرِ ﴾ وقال : ﴿ الْكَبِيرَ الْمُتَعَالَا ﴾ ، و ﴿ يَوْمَ التَّنَادِ ﴾ ، ﴿ يَوْمَ التَّلَاقِ ﴾<sup>(٤)</sup> .

أما ابن جنِّي فقد سَمَّى هذه الظاهرة : الجوار ، وعقد لها باباً فى

(١) اللسان ط دار المعارف : بوب ، نوا .

(٢) التاج ٦٠١/٣ : وزر ، سنن ابن ماجه ، باب الجنائز ٥٠ .

(٣) فقه اللغة وسر العربية بتحقيق سليمان سليم البواب ٣٤٧ .

(٤) فقه اللغة وسر العربية ٣٥٩ .

الخصائص ؛ سمّاه : باب الجوار ، وجعله على ضربين : أحدهما تجاور الألفاظ ، والآخر تجاور الأحوال ، فأما تجاور الألفاظ فعلى ضربين : أحدهما فى المتصل ، والآخر فى المنفصل<sup>(١)</sup> .

وقد تبعه فى ذلك ابن هشام فى : معنى اللبيب بقوله : إن الشيء يُعطى حكمَ الشيء إذا جاوره ؛ كقول بعضهم : «هذا جَحْرُ ضَبٍّ خَرَبٍ» بالجر ، والأكثر الرفع ، وقول امرئ القيس :

كَأَنَّ أَبَانَا فِي عِرَانِينَ وَيَلِهِ      كَبِيرُ أَنْاسٍ فِي بَجَادٍ مُزْمَلٍ<sup>(٢)</sup>

وتبعهما أيضاً السيوطى ؛ ففى كتابه : الأشباه والنظائر فى النحو لخص ما قاله ابن جنّى فى الخصائص وما قاله ابن هشام فى معنى اللبيب ، وساق للجوار أمثلة متعددة<sup>(٣)</sup> .

أما علماء البلاغة والدراسات القرآنية فقد سموا هذه الظاهرة : المناسبة ؛ ففى تحرير التحرير لابن أبى الإصبع المصرى عقد باباً للمناسبة وجعلها على ضربين : مناسبة فى المعانى ، ومناسبة فى الألفاظ ، فالمعنوية أن يبتدئ المتكلم بمعنى ثم يتم كلامه بما يناسبه معنى دون لفظ ؛ كقول الله سبحانه وتعالى : ﴿لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾ فإنه - سبحانه - لما قدّم نفى إدراك الأبصار له ، عطف على ذلك قوله : ﴿وَهُوَ اللَّطِيفُ﴾ خطاباً للسامع بما يفهم ، ولما قال : ﴿وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ﴾ عطف على ذلك قوله : ﴿الْخَبِيرُ﴾ تخصيصاً لذاته سبحانه بصفات الكمال ، لأن كل من أدرك شيئاً كان خبيراً بذلك الشيء .

(١) الخصائص ، لابن جنّى ٢٢٢/٣ وما بعدها .

(٢) معنى اللبيب بتحقيق محمد محى الدين عبد الحميد ٧٨٨ .

(٣) الأشباه والنظائر ١/١٧٧ - ١٨٠ .

وأما المناسبة اللفظية فهى توخى الإتيان بكلمات متّزّات، وهى على ضربين: تامة وغير تامة، فالتامة أن تكون الكلمات مع الاتّزان مقفّاة، وأخرى ليست بمقفّاة، فالتقفية غير لازمة للمناسبة، ومن أمثلة المناسبتين الناقصة والتامة الشعرية قول أبى تمام (طويل):

مَهَا الْوَحْشِ إِلَّا أَنْ هَاتَا أَوَانِسُ      قَنَا الْخَطُّ إِلَّا أَنْ تَلَكَ ذَوَابِلُ<sup>(١)</sup>

فقد ناسب أبو تمام بين: مها وقنا مناسبة تامة، وبين الوحش والخط، وأوانس وذوابل، مناسبة غير تامة، وهذا البيت من أفضل بيوت المناسبة لما انضم إليها فيه من المحاسن، فإن فيه مع المناسبتين التشبيه بغير أداة، والمساواة، والاستثناء، والطباق اللفظى، وائتلاف اللفظ مع المعنى والتمكين<sup>(٢)</sup>.

وقد عقد السيوطى فى الإتيان باباً لائتلاف اللفظ مع اللفظ وائتلافه مع المعنى، أى أن تكون الألفاظ يلائم بعضها بعضاً، بأن يقرب الغريب بمثله والمتداول بمثله؛ رعاية لحسن الجوار والمناسبة<sup>(٣)</sup>.

كما ذكر السيوطى عن ابن الصائغ أنه وضع كتاباً سمّاه: إحكام الراى فى أحكام الآى قال فيه: اعلم أن المناسبة أمر مطلوب فى اللغة العربية، يُرتكبُ لها أمور من مخالفة الأصول، وقد تتبعت الأحكام التى وقعت فى آخر الآى مراعاة للمناسبة، فعثرت منها على نيفٍ وأربعين حكماً<sup>(٤)</sup>.

ومن خلال استقراى لكتب اللغة والنحو والمعاجم العربية وجدت أن

(١) تحرير التحرير ٣٦٣ - ٣٧١، وانظر بحث المناسبة فى: خزانة الأدب لابن حجة الحموى، ونهاية الأرب للنويرى ١٥٨/٧، وحسن التوسل لشهاب الدين الحلبي، وأنوار الربيع لابن معصوم.

(٢) تحرير التحرير ٣٦٨ - ٣٦٩.

(٣) الإتيان بتحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ٢٦٢/٣ وما بعدها.

(٤) الإتيان ٢٩٦/٣ وما بعدها.

المحاذاة موجودة فى ثلاثة مستويات فى اللغة العربية فى المستوى الصوتى، والصرفى، والنحوى، وبذلك قسّمت البحث إلى ثلاثة أقسام: القسم الأول: المحاذاة الصوتية، وقسّمت المحاذاة الصوتية قسمين: محاذاة فى الحركات، ومحاذاة فى الحروف أو الأصوات، والقسم الثانى: المحاذاة الصرفية، وجاءت فى عدة صور: إثارة بعض صيغ المشتقات، والجمع على غير قياس، وتحويل المجرد إلى مزيد والعكس، والاستغناء بالمفرد عن المثنى أو الجمع والعكس، والإتباع. أما القسم الثالث فهو المحاذاة النحوية، وهى على ثلاثة أنواع: محاذاة فى علامات الإعراب، ومحاذاة عن طريق الحذف، ومحاذاة عن طريق التقديم والتأخير.

أما المحاذاة الدلالية فهى متناثرة فى كتب البلاغة وعلوم القرآن، وهى عندهم نوعان: محاذاة فى الألفاظ؛ أو ما يُسمّى فى البلاغة بالمماثلة، أو المزوجة، أو الترصيع، أو المناسبة اللفظية، ومحاذاة فى المعانى؛ وهى المناسبة المعنوية<sup>(١)</sup>.

### القسم الأول : المحاذاة الصوتية

وهى نوعان: محاذاة فى الحركات؛ الضم أو الفتح أو الكسر، أو السكون، ومحاذاة فى الأصوات عن طريق القلب، أو الحذف، أو الزيادة، أو الإمالة، أو فك الإدغام.

أولاً: المحاذاة فى الحركات:

قد تتغير بنية الكلمة من حيث الفتح أو الكسر أو الضم أو السكون لتتفق مع كلمة أخرى وتحاكيها؛ ويتحقق بهما معاً المحاذاة الصوتية؛ ومنه قول

(١) حول المناسبة اللفظية والمعنوية انظر: تحرير التعبير، والإتقان فى علوم القرآن وغيرهما.

العرب: أشدُّ العطش حِرَّةً على قِرَّةٍ، ويعنون به: أشد العطش ما كان فى يوم بارد، والقياس فتح الحاء: حَرَّةً، ولكنهم كسروا الحِرَّةَ لمكان القِرَّةِ<sup>(١)</sup>.

وقال ابن دريد: الحِرَّة - بالفتح-: حرارة العطش والتهابه، ومن دعائهم: رماه الله بالحِرَّةِ والقِرَّةِ؛ أى بالعطش والبرد، كُسِرَ للازدواج، وهو شائع<sup>(٢)</sup>.

وفى التاج: والجَبَرِيَّة - بالتحريك - خلاف القَدَرِيَّة، وهو كلام مولّد، وتسكين الباء فى الجَبَرِيَّة هو الأصل، لأنه نسبة إلى الجَبْر - بالتسكين -، وقالوا فى التحريك إنه للازدواج؛ أى لمناسبة ذكره مع القَدَرِيَّة<sup>(٣)</sup>.

ومن ذلك أيضاً ما رواه اللسان: كانت امرأة من العرب يُقال لها: أم خارجة يُضرب بها المثل فيقال: أسرع من نكاح أم خارجة، وكان الخاطب يقوم على باب خبائها فيقول: خُطْب ! فتقول: نكح!، ويقول: خُطْب ! فتقول: نكح<sup>(٤)</sup>!

وقد تحققت بذلك المحاذاة الصوتية بين الكلمتين فى حالتى: كسر الفاء وضمها.

ومنه أيضاً قول الرسول ﷺ عند دخول الخلاء: اللهم إني أعوذ بك من النَجَسِ الرَّجْسِ الخبيثِ المُخْبِثِ، قال الفراء: إذا قالوا: النَجَسُ مع الرَّجْسِ أتبعوه إياه، فقالوا: رَجَسِ نَجَسٍ بالكسر، وإذا أفردوه قالوا: نَجَسٍ بالفتح؛ كما فى قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا الْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ﴾ للواحد والاثنين والجمع، وإنما كسروا: نَجَسٍ لمكان رَجَسٍ؛ التى هى مكسورة على كل حال<sup>(٥)</sup>.

(١) اللسان (حرر) ٨٢٧/٢ .

(٢) التاج ١٣٦/٣: حرر

(٣) التاج (جبر) ٨٢/٣ .

(٤) اللسان (خطب) ١١٩٤/٢ .

(٥) اللسان (نجس) ٤٣٥٢/٦، الزهر ٣٤٢/١

ومنه أيضاً قول العرب : «تَعَسَّأَ لَهُ وَنَكَسَّأَ» بفتح النون فى نَكَسَّأَ، وقياسه : نَكَسَّأَ بالضم، وإنما فُتِحَ هنا للازدواج<sup>(١)</sup> .

وكذلك قول العرب : جاء بالطَّمِّ والرَّمِّ، والطَّمُّ : البحر، والرَّمُّ : الثرى، أى جاء بالرَّطْب واليابس، والطَّمُّ - بالفتح - هو البحر فَكُسِرَت الطاء ليزدوج مع الرَّمِّ ؛ فإذا أفردوا الطَّمَّ فتحوه<sup>(٢)</sup> .

وأيضاً قول العرب : جاء بالضَّيِّح والرَّيِّح، والضَّيِّح : الشمس، وجاء بالضَّيِّح والريِّح ؛ أى جاء بالمال الكثير، والضَّيِّح أصله : الضَّحُّ، وإنما أُشْبِعَت الضاد بالكسرة الطويلة لتحاذى الكلمة التى بعدها : الرَّيِّح<sup>(٣)</sup> .

وفى حديث ابن مسعود : أَنَّهُ سَلَّمَ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَهُوَ يَصَلَّى ، فلم يَرُدَّ عَلَيْهِ السَّلام، قال : فَأَخَذَنِي مَا قَدُمُ وَمَا حَدَّثُ ؛ أى همومه وأفكاره القديمة والحديثة، ولا يُقال : حَدَّثُ - بضم الدال - إلا مع قَدُمُ كأنه إتباع، وقال الجوهري : لا يُضَمُّ حَدَّثُ فى شَيْءٍ مِنَ الْكَلَامِ إِلَّا فى هَذَا الْمَوْضِعِ ، وذلك لِمَكَانِ قَدُمُ عَلَى الْازْدِوَاجِ<sup>(٤)</sup> .

وفى ديوان الأدب : ومن أمثالهم : السَّرَّاحُ مِنَ النَّجَّاحِ ، والسَّرَّاحُ - بفتح السين - الاسم من التسريح، وضَبَطَهُ : السَّرَّاحُ - بكسر السين - ، ولكن فُتِحَت السين لتحاذى كلمة النَّجَّاحِ<sup>(٥)</sup> . وفيه أيضاً : الْمَنْخَرُ لُغَةٌ فى الْمَنْخَرِ ، والمَنْتَنُ لُغَةٌ فى الْمَنْتَنِ ، والأصل فيهما : مَنْخَرٌ وَمَنْتَنٌ ، فَكُسِرَ أَوَائِلُهُمَا إِتِّبَاعاً لِلْعَيْنِ وَشَبْهًا

(١) اللسان (نكس) ٤٥٤١/٦ ، المزهر ٣٤٢/١ .

(٢) اللسان (طعم) ٢٧٠٦/٤ .

(٣) اللسان (ضحج) ٢٥٥٦/٤ - ٢٥٥٧ .

(٤) اللسان (حدث) ٧٩٦/٢ ، المزهر ٣٣٩/١ .

(٥) ديوان الأدب للفارابى ٣٧٦/١ (فَعَال) .



بِفَعْلٍ<sup>(١)</sup> ، وفي ذلك يقول ابن يعيث : منهم من يقول مُتْنٌ بضم التاء إتباعاً لضمة الميم، ومنهم من يقول : مُتْنٌ بكسر الميم إتباعاً لكسرة التاء؛ إذ النون لخفائها وكونها غنةً في الخيشوم حاجز غير حصين<sup>(٢)</sup> . ومن المحاذاة الصوتية في الحركات ما جاء على لغة تميم من كسر فاء صيغة فَعِلٍ إذا كانت العين أحد الحروف الستة الحلقيّة: أ. هـ. ع. غ. ح. خ، وكذلك صيغة فَعَلٍ إذا كانت صفةً أو فعلاً أو اسماً، وما كَسَرَ الفاء إلا لتحاذي العين وتبعها ، فيقولون : لثيم، وشهيد، وسعيد، ونحيف، ورغيف، وبخيل، وبئس، ويقولون أيضاً : شهيدٌ، ولعبٌ، وضحكٌ، نغلٌ، ووخمٌ، وفخذٌ. وهناك من غير التميميين من قال : مغيرة ومعين، أتبعوا الكسرة الكسرة، كما قالوا: مُتْنٌ، وأنبؤك وأجؤك، يريد أنبئك وأجيئك، وقالوا في حرف شاذ: إحبٌ ونحبٌ ويحبٌ، شبهوه بقولهم: مُتْنٌ<sup>(٣)</sup> . وأنشد سيبويه للأخطل :

إذا غاب عنا غاب عنا فُراتنا وإن شهد أجدى فضله وجدأوله

والشاهد فيه تحريك الشين بالكسر إتباعاً لحركة عينها قبل الإسكان، وهذا الإتيان مطرد فيما كان ثانيه أحد حروف الحلق، وكان مبنياً على فَعَلٍ، فعلاً كان أو اسماً في لغة بني تميم<sup>(٤)</sup> .

ويقرّر اللغويون أن كل فَعَلٍ جاء على فَعَلٍ بكسر العين، وعينه حرف حلقي يجوز فيه كسر الفاء إتباعاً لكسر العين؛ نحو: نَعِمَ وبئس<sup>(٥)</sup> .

ويؤكد سيبويه أن الألف الموصولة في الأفعال مكسورة دائماً، إلا إن كان

(١) ديوان الأدب ٣٠٣/١ : باب مِفْعَلٍ .

(٢) الأشباه والنظائر ١٤/١ .

(٣) الكتاب ١٠٧/٤ - ١٠٩ .

(٤) الكتاب ١٦٦/٤ ، الدرر اللوامع الشاهد رقم ١٤٠٧ .

(٥) الأشباه والنظائر ١٤/١ .

الحرف الثالث مضمومًا فتضمُّها، وذلك قولك : أُقْتِلَ ، أُسْتُضِعِفَ ، أُحْتَقِرَ ، أُحَرَّنَجِمَ ، وذلك أنك قرَّبت الألف من المضموم إذ لم يكن بينهما إلا ساكن فكرهوا كسرة بعدها ضمة، وأرادوا أن يكون العمل من وجه واحد، ولا يقصد سيبويه من قوله : «يكون العمل على وجه واحد»، إلا تحقيق المحاذاة بين الحركات، كما فعلوا ذلك فى : مُدُّ اليَوْمُ يا فتى، كما ساق سيبويه من الشعر ما يؤكد هذه المحاذاة فى الحركات كقوله : وقالوا : اضْرِبِ السَّاقِينَ إِمَّكَ هَابِلُ . فالشاهد فيه : إتباع همزة إِمَّكَ لكسرة نون «الساقين» كما روى أيضًا : «إِمَّكَ هَابِلُ» بإتباع ميم «إِمَّكَ» لكسرة الهمزة ، فيكون فى هذا الشرط إتباعان، ومنهم من يرويه : «الساقينُ أُمَّكَ» بإتباع نون «الساقين» لهمزة «أُمَّكَ»، ويروى للنعمان بن بشير الأنصارى، ومنهم من نسبه لامرئ القيس :

وَيَلْمُهَا فِى هَوَاءِ الْجَوِّ طَالِبَةً      ولا كهذا الذى فى الأرض مَطْلُوبُ

أراد : «ويلُ أُمَّها» فحذف الهمزة استخفافًا، ثم أتبع حركة اللام حركة الميم<sup>(١)</sup> . ويروى لنا ابن جنى فى المحتسب أن أهل البادية قرأوا : «الحمدُ لله» مضمومة الدال واللام، كما قرأ إبراهيم بن أبى عبلة وزيد بن علىُّ والحسن البصرى : «الحمدُ لله» مكسورتين، ثم يؤكد أن المحاذاة أو الإتباع كثر فى كلامهم وشاع، ولذا أتبعوا أحد الصوتين الآخر، وشبهوهما بالجزء الواحد وإن كانا جملة من مبتدأ وخبر، فصارت «الحمدُ لله» كعُنُقٍ وَطْنُبٍ، و «الحمدُ لله» كإِبِلٍ وَإِطْلٍ . وفى قوله تعالى : ﴿وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ قرأها الفضل الرُّقَاشى «وَأَيَّاكَ» بفتح الهمزة، إتباعًا لما قبلها «الواو» وما بعدها «الياء» . وأمَّا قوله تعالى : ﴿أَنعَمْتَ عَلَيْهِمْ﴾ فقد ساق لها ابن جنى عشر قراءات، منها ما لا يُفسَّر إلا بالإتباع فى الضم : عَلَيْهِمْ، عَلَيْهِمُ، أو بالإتباع فى الكسر : عَلَيْهِمْ،

(١) الكتاب ٢/٢٩٤، ٤/١٤٦ - ١٤٧، وانظر الخصائص ٢/١٤٥، ٣/١٤١، وشرح الشافية ٤/١٧٨ -

عليه<sup>(١)</sup>. وما قول سيبويه إن الهاء تُكسّر إذا كان قبلها ياء أو كسرة، إلا بسبب المحاذاة؛ فالهاء خفية كما أن الياء خفية، وهما من حروف الزيادة، فكما أمالوا الألف كسروا الهاء، وقلبوا الواو ياء، لأنه لا تثبت واو ساكنة وقبلها كسرة، فالكسرة ههنا كالإمالة فى الألف لكسرة ما قبلها وما بعدها، وذلك قولك: مررت بِنهى قبل، ولديهى، ومررت بدارهى قبل<sup>(٢)</sup>. وأما قوله تعالى: ﴿ولا الضالّين﴾ فقد قرأ أيوب السخيتانى: «ولا الضالّين» بالهمز المفتوح، ويفسر ابن جنّى ذلك بقوله: ووجه ذلك أن الألف ساكنة وهى مجاورة لفتحة الحرف قبلها، والحرف الساكن إذا جاور الحركة فقد تنزله العرب منزلة المتحرك بها؛ من ذلك قولهم فى الوقف على بكر: هذا بكر، ومررت بيكر، ألا ترى حركتى الإعراب لما جاورتا الراء صارتا كأنهما فيها. ومنه قول جرير:

لَحَبَّ الْمُوقِدَانِ إِلَى مُوسَى      وَجَعْدَةُ إِذْ أَضَاءَهُمَا الْوَقُودُ

فهمز الواو فى الموضعين: الموقدان، موسى، لأنهما جاورتا ضمة الميم قبلهما، فصارت الضمة كأنها فيهما، والواو إذا انضمت ضمّاً لازماً فهمزها جائز، نحو: أَقَّتْ فى «وَقَّتْ» وكذلك الفتحة قبل الألف لما جاورتها صارت كأنها فيها، وقد قرأ عمرو بن عبيد «فَيَوْمَئِذٍ لَا يُسْأَلُ عَنْ ذَنْبِهِ إِنْسٌ وَلَا جَانٌّ» الرحمن ٣٩، مع ملاحظة تحريك الهمز فى الكلمتين: الضالّين، جَانٌّ؛ لتحدث المحاذاة فى الفتح، كما حدث فى قول كثير فى مدح عمر بن عبد العزيز:

وَأَنْتَ ابْنُ لَيْلَى خَيْرُ قَوْمِكَ مَشْهُدًا      إِذَا مَا الْعَوَالَى بِالْعَبِيطِ احْمَارَّتْ

وقوله فى مدح عبد العزيز بن مروان :

(١) المحتسب ٣٧/١ - ٤٦ .

(٢) الكتاب ١٩٥/٤ .

وللأرضِ سُودُهَا فتَجَلَّلَتْ      بياضاً وأماً يبيضُها فادهاًمَّتْ<sup>(١)</sup>

ويذهب الفراء إلى أن كلمة : مُنْذُ أصلها مركبة من كلمتين : مِنْ، وذو التى بمعنى الذى فى لغة طيىء، ثم قلبت كسرة الميم ضمة لتحاذى ضمة الذال بعدها<sup>(٢)</sup> .

ومن المحاذاة أيضاً فى الأفعال أن الأصل فى الفعل المضارع أن تختلف حركة عينه عنها فى الماضى ؛ ولذا يُقال : ضَرَبَ يَضْرِبُ، وَنَصَرَ يَنْصُرُ، فما كان ماضيه على فَعَلٍ، مفتوح العين، فإن مستقبله يأتى بالضم أو بالكسر، ولكن لا يأتى مستقبله بالفتح إلا أن تكون لام الفعل أو عين الفعل أحد حروف الحلق الستة ؛ وذلك لتحقيق فيه المحاذاة، لأنهم ضارعوا بفتحة العين فى المضارع جنس حرف الحلق ؛ لما كان موضعاً منه مخرج الألف التى منها الفتحة<sup>(٣)</sup> .

وفى قوله تعالى : ﴿وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الْحُبُكِ﴾ {الذاريات ٧}، يقول أبو حيان الأندلسى، فيمن قرأ «الحُبُك» بكسر الحاء وضم الباء : إن هذا مما اتبع فيه حركة الحاء لحركة تاء «ذات» فى الكسر، ولا يُعتدُّ بالساكن لأنه حاجز غير حصين<sup>(٤)</sup> .

وأما قراءة كسر الباء مع كسر الحاء «الحُبُك» فقرأ بها أبو مالك الغفارى والحسن ووجهها أن يكون الأصل حُبِكًا بكسر الحاء وسكون الباء ثم حُرِّكَتْ الباء بالكسر إتباعاً لحركة الحاء، ومنه قول الشاعر :

أرثنى حَجَلًا على ساقِها      فهشَّ الفؤادُ لذاك الحَجِلُ

وقال الآخر :

(١) المحتسب ٤٧/١، الخصائص ١٢٦/٣ .

(٢) اللسان ٤٢٧٦/٦ : منذ، شرح المفصل ٤٥/٨ .

(٣) إصلاح المنطق ٢١٧، الخصائص ١٤٣/٢ .

(٤) البحر المحيط ١٣٤/٨، تحفة الأقران ٥٢ .

عَلَّمْنَا إِخْوَانَنَا بَنُو عَجَلٍ شُرْبَ النَّيْذِ وَاعْتَقَالًا بِالرَّجْلِ

ففى البيت الأول حُرِّكَت الجيم لمحاذاة حركة الحاء فى الكسر ، وفى الثانى حُرِّكَت الجيم أيضاً لمحاذاة العين والراء<sup>(١)</sup> .

وفى قوله تعالى : ﴿وَمَنْ لَّمْ يَسْتَطِعْ مِنْكُمْ طَوْلاً أَنْ يَنْكِحَ الْمُحْصَنَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ﴾ {النساء ٢٥} قرأ يزيد بن قطيب «المُحْصَنَاتِ» بضم الصاد ، ووجه ذلك فى اللغة هو تحقيق المحاذاة بين الميم والصاد ؛ وفى ذلك يقول أبو حيان : « وضم الصاد إتباع لضم الميم ، كما قالوا «مِثْنِ» ولم يعتدوا بالحاجز ؛ لأنه ساكن ، فهو حاجز غير حصين<sup>(٢)</sup> . وفى قوله تعالى : ﴿وَصُدُّوا عَنِ السَّبِيلِ﴾ {الرعد ٣٣} ، قرأ ابن وثاب «وَصُدُّوا» بكسر الصاد ، ووجهها أن أصله «صُدِّدُوا» بضم الصاد وكسر الدال ، ثم كُسِرَت الصاد إتباعاً ومحاذاة للدال ، ثم أدغموا فقالوا : صَدُّوا ، وهى لغة بنى ضَبَّة ، وكذلك قرأ ابن وثاب والحسن وغيره ﴿هَذِهِ بَضَاعَتَنَا رُدَّتْ إِلَيْنَا﴾ {يوسف ٦٥} بكسر الراء : رِدَّتْ ، وأصلها أيضاً : «رُدِدَّتْ» ثم كسرت الراء لتحاذى الدال ، ثم أدغم المثلان<sup>(٣)</sup> . وفى قوله تعالى : ﴿عَلَامُ الْغُيُوبِ﴾ {إسراء ٤٨} قرأ حمزة وأبو بكر «الغِيُوبِ» بكسر الغين ، ووجهها أنه لما اجتمع ضِمَّتَانِ وِاءٌ وواوٌ استثقلوا ذلك ، فحولوا ضمة الغين كسرة للتناسب مع الياء بعدها ، ونظيره : شِيُوخٌ ، وَيِيوت ، وَجِيُوبٌ ، وَعِيُونٌ ، بكسر الشين والباء والجيم والعين<sup>(٤)</sup> .

(١) الحجة لابن خالويه ٢١٩ ، تحفة الأقران ٥٣ ، البحر المحيط ١٣٤/٨ ، شرح المفصل ٧١/٩ .

اللسان : حجل .

(٢) البحر المحيط ٢١٤/٣ ، تحفة الأقران ١٢١ .

(٣) الكشاف ٣٦٢/٢ ، البحر المحيط ٣٩٥/٥ ، تحفة الأقران ١٢٤ .

(٤) البحر المحيط ٢٩٢/٧ ، تحفة الأقران ١٣٥ .

وأما قوله تعالى : ﴿ فَلَا تَقُلْ لَهُمَا أُفٌ ﴾ {الإسراء ٢٣} فقد قرأ هارون وأبو السَّمَال بالضمَّ والتنوين «أفٌ» وبالضم وغير التنوين «أفٌ» ، للمحاذاة والإتباع ، بين الهمزة والفاء ، كما كسروا الميم فى «مِيتِن» إتباعاً لكسرة التاء مع كون الحاجز ظاهراً ، فالمحاذاة هنا أولى لأن الحاجز مدغم<sup>(١)</sup> . وأما قوله تعالى : ﴿وَأَمْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلُكُمُ إِلَى الْكُعْبَيْنِ﴾ {المائدة ٦} فقد قرأ بجر اللام من «أرجلكم» ابن كثير ، وأبو عمرو ، وحمزة ، وأبو بكر ، وأنس ، وعكرمة وغيرهم ، وللغويين فى ذلك تأويلات منها : أن الجرَّ جاء للجوار ، أى لمجاورة اللام فى «أرجلكم» السين فى «رؤوسكم» ، وبذلك تحققت المحاذاة بينهما بالجر ، وقد ضعَّف الرعينى وأبو حيَّان ذلك ، فقال الرعينى : الخفض على الجوار تأويل ضعيف ، لأن الصحيح من الخفض على الجوار مع قلته ألا يكون إلا فى النعت لا فى العطف ، كما أنه مختص بالشعر ، لكنه مردود عليه بأمرين : ورود الحمل على الجوار فى النثر ؛ كالقول المشهور : هذا جُحْرُ ضَبٍّ خَرَبٍ ، كما أن الزمخشريَّ أيد ذلك<sup>(٢)</sup> . وقال ابن هشام : «وأرجلكم» بالخفض إنه عطف على أيديكم لا على رؤوسكم ؛ إذ الأرجل مغسولة لا ممسوحة ، ولكنه خفض لمجاورة : رؤوسكم<sup>(٣)</sup> . وأما قوله تعالى : ﴿وَقُلِ الْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ﴾ {الكهف ٢٩} ، فقد قرأ أبو السمال بضم اللام «وقُلُ» إتباعاً لحركة القاف قبلها ، ولكى تحدث المحاذاة بينهما<sup>(٤)</sup> . وقوله تعالى : ﴿اشْتَرَوْا الضَّلَالَةَ بِالْهَدَى﴾ {البقرة ١٦} قرأ أبو السمال بفتح الواو فى «اشْتَرَوْا» ووجهها أنها فتحت إتباعاً لحركة الفتح على التاء والراء قبلها<sup>(٥)</sup> . وكذلك قوله تعالى : ﴿فَتَمَنَّوْا

(١) المحتسب ١٨/٢ ، الكشف ٤٤٤/٢ ، البحر المحيط ٢٧/٦ ، تحفة الأقران ١٣٩ .

(٢) الكشف ٦١١/١ ، البحر المحيط ٤٣٧/٣ ، تحفة الأقران ١٥٨ - ١٥٩ .

(٣) الأشباه والنظائر ١٧٧ .

(٤) تحفة الأقران ١٦١ .

(٥) تحفة الأقران ١٨٩ .

الْمَوْتَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٩٤﴾ {البقرة ٩٤} فقد قرأ أبو عمرو بفتح الواو فى «فتمنوا» لمحاذاة فتحة النون قبلها<sup>(١)</sup> .

وأما قوله تعالى : ﴿لَوْ اسْتَطَعْنَا لَخَرَجْنَا مَعَكُمْ﴾ {التوبة ٤٢} فقد قرأ الحسن البصرى بفتح الواو فى «لو» إتباعاً لحركة اللام قبلها<sup>(٢)</sup> . وقوله تعالى : ﴿سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَنُ وُدًّا﴾ {مريم ٩٦} فقد قرأ أبو الحارث الحنفى بفتح الواو فى «وداً» إتباعاً لحركة الدال بعدها، وأما السبعة فقد قرأوا بضم الواو إتباعاً لحركة النون قبلها<sup>(٣)</sup> . وفى قوله تعالى : ﴿وَهَنَ الْعَظْمُ مِنِّي﴾ {مريم ٤} قرأ السبعة بفتح الهاء فى «وهن» لمحاذاة الواو قبلها<sup>(٤)</sup> . ومن مظاهر المحاذاة الصوتية فى الحركات قول العرب : «اللهم اجعلنا من المنسيين فى قلوب المؤذنين» فقد حاذوا بين : المنسيين والمؤذنين، وكان القياس يقتضى أن يُقال : المنسيين - بفتح الميم - لكنهم ضموها لتحاذى الميم فى المؤذنين التى كان قياسها أن تكون بياء واحدة : المؤذنين، ولكن زادت فيها الياء لتحاذى ما قبلها<sup>(٥)</sup> . ومن ذلك قول بعض الأعراب :

لَئِنْ بَعَثْتَ أُمَّ الْحُمَيْدِينَ مَائِرًا      لَقَدْ غَنَيْتُ فِى غَيْرِ بُؤْسٍ وَلَا جُحْدٍ

والجُحْدُ قياسه : الجَحْدُ بفتح الحاء، وإنما ضُمَّتْ لمحاذاة الكلمة السابقة عليها وهى : بُؤْسٌ، كما قالوا : رَجَسُ نَجَسٌ، إذا أتبعوا، فإذا أفردوا قالوا : نَجَسٌ بفتح فكسر<sup>(٦)</sup> .

(١) البحر المحيط ١/ ٣١٠، تحفة الأقران ١٩٠ .

(٢) المحتب ١/ ٢٩٢، تحفة الأقران ١٩١ .

(٣) البحر المحيط ٦/ ٢٢١، تحفة الأقران ١٩١ .

(٤) تحفة الأقران ١٩٤ .

(٥) تنقيف اللسان ١٣٤ .

(٦) ديوان الادب ١/ ١٥١ باب فُعْلٌ، ١/ ١٨٦ : فُعْلٌ، اللسان ١/ ٥٤٧ : جحد .

ومنه قوله تعالى : ﴿إِنهَا ترمى بشرَرَّ كَالْقَصْرِ﴾ بتحريك الصاد، لمحاذاة الكلمة السابقة عليها: شَرَرٌ<sup>(١)</sup> ، ومن ذلك أيضاً ما يحدث لكلمتى: ابنم، وامرؤ فى الرفع والنصب والجر، ففى الرفع: ابْنُم، وامرؤ، وفى النصب: ابْنَمًا وامرأ، وفى الجر: ابْنِم ، وامرِي، وما ذلك إلا بسبب قانون المحاذاة فى اللغة<sup>(٢)</sup> .

وفى هذا يقول السيوطى : « وإتباع حركة الحرف الذى قبل آخر الاسم العرب لحركة الإعراب فى الآخر، وذلك فى امرئ وابنم ، فإن الراء والنون يتبعان الهمزة والميم فى حركتهما؛ نحو : ﴿إِنْ امْرُؤٌ هَلَكَ﴾ [النساء ١٧٦]، و ﴿مَا كَانَ أَبُوكَ امْرَأَ سَوْءٍ﴾ [مريم ٢٨] ، و ﴿لِكُلِّ امْرِئٍ مِنْهُمْ مَا اكْتَسَبَ مِنَ الْإِثْمِ﴾ [النور ١١] ، وكذا ابنم ولا ثالث لهما فى إتباع العين اللام . وكذلك إتباع حركة الفاء اللام ؛ وذلك فى مَرِئ وفم خاصة ؛ فإن الميم والفاء يتبعان حركة الهمزة والميم فى بعض اللغات؛ فيقال: هذا مَرءٌ وفَمٌ، ورأيت مَرأً وفَمًا، ونظرتُ إلى مَرءٍ وفَمٍ، ولا ثالث لهما<sup>(٣)</sup> .

وفى الكشف قرأ أبو جعفر من رواية ابن جمار : ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا﴾ [البقرة ٣٤] قرأ بضم التاء «للملائكة» إتباعاً لضم الجيم، ولم يعتد بالساكن فاصلاً، ووافقه الشنبوذى<sup>(٤)</sup> .

ومن المحاذاة الصوتية فى الحركات أن من العرب من يُحرِّك الآخر كتحرريك ما قبله ، فإن كان مفتوحاً فتحوه، وإن كان مضمومًا ضمّوه، وإن كان مكسورًا كسوره، وذلك قولك: رُدُّ، وعَضُّ، وفِرِّ يا فتى، واَقْشَعِرِّ، واَطْمِنِّ، واستَعِدِّ،

(١) ديوان الأدب ٢١٣/١: قَعَل .

(٢) الكتاب ٢٠٣/٢ .

(٣) الأشباه والنظائر للسيوطى ١٣/١ .

(٤) الأشباه والنظائر ١٧/١، إتخاف فضلاء البشر ١٧٥ .



واجْتَرَّ، واحْمَرَّ وضَارَّ؛ لأن قبلها فتحة والفاء، فهى أجدر أن تُفتح، وردُّنا، ولا يُشَلِّكُم الله، وَعَضْنَا ومُدْنَى إليك ولا يُشَلِّكُ الله وليَعَضَّكُمْ . ومن ذلك قول جرير : غُضَّ الطَّرْفَ إنك من نُمَيْرٍ<sup>(١)</sup> ياتَّباع الضاد المشددة للطاء المشددة أيضاً. ومن المحاذاة الصوتية فى الحركات أيضاً إتباع حركة العين للفاء فى الجمع بالالف والتاء؛ نحو : تَمَرَّة تَمَرَات، بالفتح، وسِدْرَة سِدْرَات؛ بالكسر، وغُرْفَة غُرَفَات؛ بالضم<sup>(٢)</sup> . ومن ذلك إتباع حركة اللام للفاء فى البناء على الضم فى كلمة : مُنْذُ؛ فإن الذال ضُمَّتْ إتباعاً لحركة الميم، ولم يعتد بالنون حاجزاً، ونظيرها فى ذلك بناء : بَلَّه على الفتح إتباعاً لفتحة الباء، ولم يعتد باللام حاجزاً لسكونها<sup>(٣)</sup>، ومن ذلك ما أنشده سيويه ونسبه لرجل من أزد السراة:

أَلْأَرْبُّ مَوْلُودٍ وَلَيْسَ لَهُ أَبٌ      وَذَى وَلَدٍ لَمْ يَلِدْهُ أَبْوَانٌ

أراد بالمولود الذى ليس له أب عيسى عليه السلام، وأراد بالذى لم يلد له أبوان آدم عليه السلام، والشاهد فى : يَلِدْهُ، فقد التقى ساكنان: اللام والذال، ثم حُرِّكَ الذال بحركة أقرب المتحركات إليها؛ على الياء، وهى الفتحة؛ لأن الساكن حاجز غير حصين، جعلوا حركته كحركة أقرب المتحركات منه، وعاملوه كما فى كلمة: أَيْنَ، وَكَيْفَ<sup>(٤)</sup> .

ومن المحاذاة الصوتية فى الحركات إتباع حركة الفاء للعين فى لغة من قال فى: لَدُنْ: لُدْ، قال ابن يعيش: من قال لُدْ بضم الفاء والعين فإنه أتبع الضمَّ الضمَّ بعد حذف اللام<sup>(٥)</sup> .

(١) الكتاب ٥٣٢/٣ - ٥٣٣، شرح المفصل لابن يعيش ٥٩٤/٤ .

(٢) الأشباه والنظائر ١٤/١ .

(٣) شرح المفصل ٤٧/٤، الأشباه والنظائر ١٤/١ .

(٤) الكتاب ٢٦٦/٢، شرح المفصل ٨٤/٤، الأشباه والنظائر ١٤/١ .

(٥) الأشباه والنظائر ١٤/١ .

ومنها إتباع حركة فاء كلمة لحركة فاء أخرى لكونها قُرنت معها، وسكون عين كلمة لسكون عين أخرى أو حركتها لحركتها كذلك، قال ابن دريد في الجماهرة: تقول ما سمعت له جَرَسًا إذا أفردت، فإذا قُلْتَ: ما سمعتُ له حِسًا ولا جِرَسًا، كسرت الجيم للإتباع؛ أى كسروا فأتبعوا اللفظَ اللفظ<sup>(١)</sup>.

## ثانياً: المحاذاة في الحروف (الاصوات):

ونعنى بها: تغيير يطرأ على الكلمة فى أحد أصواتها من أجل أن تحاذى كلمة قبلها أو بعدها، ولها خمس صور؛ هى: القلب، والحذف، والزيادة، والإمالة، وفكُّ ما استحقَّ الإدغام.

١ - القلب: ويكون ذلك بقلب أحد الأصوات إلى صوت آخر لتصبح الكلمة فى مجموع أصواتها محاذية لكلمة بعدها أو قبلها، وفى حديث الرسول ﷺ «ارجعنَ مأزوراتٍ غيرَ مأجوراتٍ» حاذت كلمة: مأزورات كلمة مأجورات، وأصل: مأزورات: موزورات بالواو، لأنها مأخوذة من الوزر، وهو الذنب، ولكنه أتبع: مأجورات، ويقال: رجلٌ موزور غير مأجور، ولما قابلوا الموزور بالمأجور قلبوا الواو همزة ليأتلف اللفظان ويزدوجا<sup>(٢)</sup>.

وقد يكون الجوار سبباً هاماً من أسباب تحقيق المحاذاة، وقد عقد ابن جنى باباً فى الخصائص سمّاه: باب الجوار، وجعله على ضربين: أحدهما تجاور الألفاظ، والآخر تجاور الأحوال، فأما تجاور الألفاظ فعلى ضربين: أحدهما فى المتصل، والآخر فى المنفصل، فأما المتصل، فمنه مجاورة العين للآم بحملها على حكمها، وذلك قولهم فى: صُومَ: صِيَمَ، فقد شَبَّهوا باب صُومَ بباب عصىَ فقلبه بعضهم، ومثله قولهم فى جُوعَ: جِيعَ؛ قال الشاعر:

(١) جمهرة اللغة: جرس، اللسان ٥٩٧/١: جرس، الأشباه والنظائر ١٤/١.

(٢) اللسان ٤٨٢٤/٦: وزر، التاج ٦٠١/٣: وزر.

ومعرّضٍ تغلى المراحلُ تحته  
بادرتُ طبختها لرهط جيع  
وأنشدوا:

لولا الإله ما سكنا خضماً  
ولا ظللنا بالمشاء قيماً  
وأصلها : قوماً من قام يقوم .

وعليه ما أنشده محمد بن حبيب من قول النابغة الجعدى:

بريذينة بلّ البراذين ثفرها  
وقد شربت من آخر الصيف أيلًا

وقد أجازوا فيه أن يكون أراد: جمع آئل، أى خائر، من قولهم: لبن آئل؛ أى خائر، وآل اللبن يثول إذا خثر، فقلبت العين حملاً على قلب اللام<sup>(١)</sup>.

ومن الجوار فى المتصل قول جرير بن عطية من قصيدة يمدح فيها هشام بن عبد الملك:

كحَبِّ المؤقَدانِ إلى موسى  
وجعدة إذا أضاءهما الوقودُ

وأثر الجوار فى البيت إبدال الواو فى «الموقدان» و «موسى» همزة لمجاورتها للضمة قبلها، فكانها مضمومة، والهمز يجوز فى الواو المضمومة؛ نحو: أجوه فى: وجوه، وأُفَّتت فى وقَّتت<sup>(٢)</sup>. ومن ذلك قراءة أبى حيو: ﴿وَبِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ﴾ [البقرة ٣] بالهمز.

ومن الجوار فى المنفصل قول العرب للرجل إذا قدم من السفر: أوبةً وطوبئةً؛ أى أُبِتَ إلى عيش طيب ومآب طيب، والأصل فى طوبئة: طيبة، من طاب يطيب، فقالوه بالواو لمحاذاة أوبة، وقال ابن خالويه: إنما قالوا: طوبئة،

(١) الخصائص، لابن جنى، بتحقيق محمد على النجار ٢٢٢/٣.

(٢) الخصائص ١٧٧/٢.

لأنهم أزوجوا به أوبة<sup>(١)</sup> .

ومن مظاهر المحاذاة الصوتية عن طريق القلب قول العرب : «أنكحنا الفراً فسرى» والفراً أصلها: الفراً؛ وهو الحمار الوحشى؛ وقد أبدلوا من الهمزة ألفاً ليحاذى: فسرى، أو كما قال ثعلب: فإنما هو على التخفيف البدلى موافقةً لسرى، لأنه مثلٌ، والأمثال موضوعة على الوقف، فلماً سكنت الهمزة أُبدلت ألفاً لانفتاح ما قبلها، ومعناه: قد طلبنا على الأمور فسرى أعمالنا بعد<sup>(٢)</sup> .

ومن ذلك أيضاً قول خالد بن زهير الهذلى :

يا قوم مالى وأبا ذؤيب      كنتُ إذا أتوته من غيب  
يَشُمُّ عَطْفَى وَيَبِزُّ ثَوْبَى      كأنما أريتَه برِيب

ففى البيت الأول قال : أتوته، وأصله: أتيتَه بالياء من الفعل أتى، وإنما قلب الياء واواً لتحاذى التاء المضمومة بعدها، ومنه قول العرب: رجل أسوان أتوان؛ أى حزين؛ وقياسه: أتيان من أتى، ولكنه حاذى بين أسوان وأتوان<sup>(٣)</sup>.  
وقول السليك بن السلكة السعدى :

سيكفيكَ صَرَبَ القومِ لَحْمٌ مُعَرَّضٌ      وماء قُدُورٍ فى القِصاعِ مَشِيبٌ

مشيب أصلها: مشوب، من الفعل: شاب يشوب ولكنه قلب الواو ياء ليحاذى بين فاء الكلمة وعينها<sup>(٤)</sup> .

ومن المحاذاة الصوتية عن طريق القلب ما قاله أبو النجم : فلستُ بالجافى

(١) المزهر للسيوطى ١/ ٣٤٠.

(٢) الصحاح، ١/ ٦٣: فرأ، اللسان ٥/ ٣٣٦٨: فرأ .

(٣) الأمالى للقالى ٢/ ٢٠٨، تهذيب إصلاح المنطق ١/ ٣٦٣.

(٤) المخصص ١٠/ ١٨٠، اللسان: صرب، تهذيب إصلاح المنطق ١/ ٣٦٥.

ولا المجفَى ، والمجفَى أصلها: المجفَوْ، من الفعل جفا يجفو، ولكنه أراد أن يُحدث المحاذاة بين الجافى والمجفَى، ولذا قلب الواو ياءً . قال الفرّاء : بناء على جُفَى ، فلما انقلبت الواو ياء فيما لم يسمَّ فاعله بنى المفعول عليه، ومعنى الرجز: إنه حسن الخلق كريم يحب الناس ويحبونه<sup>(١)</sup> .

ومن ذلك أيضاً قول عبد يغوث بن وقاص الحارثى :

وقد عَلِمْتُ عِرْسِي مُلَيْكَةً أَنْنِي      أَنَا اللَّيْثُ مَعْدِيًّا عَلَيْهِ وَعَادِيًّا

وأصل : معديًّا : معدوًّا، من الفعل عدا يعدو، وقد قلب الواو ياء لتحدث المحاذاة بين: معديًّا، وعاديًّا<sup>(٢)</sup> .

وقال منظور بن مرثد الأسدى :

أَزْمَانَ عَيْنَاءُ سُورُورُ الْمَسْرُورُ      عَيْنَاءُ حَوْرَاءُ مِنَ الْعَيْنِ الْحَيْرِ

فقال : الحَيْرُ وكان قياسه : الحُورُ بالواو، ولكنها لما جاءت بعد كلمة: الْعَيْنُ أراد أن يحاذى بينهما<sup>(٣)</sup> .

وقال منظور أيضاً :

هل تعرف الدار بأعلى ذى القور      قد درست غير رماد مكفور

مكتب اللون مَرِيحٍ مَمْطُورٍ

قال : مَرِيحٍ، وأصلها : مَرُوحٌ، من الفعل راح يروح، وقد قلبت الواو ياء لمناسبة الكسرة قبلها<sup>(٤)</sup> .

(١) إصلاح المنطق ١٨٥، أدب الكاتب لابن قتيبة ٣٨٠ تهذيب إصلاح المنطق ١/٣٦٦ .

(٢) الكتاب ٤/٣٨٥، أدب الكاتب ٣٨٠ .

(٣) أدب الكاتب ٤٠٢ .

(٤) أدب الكاتب ٤٠٤ .

وقال حميد بن ثور الهلالي

ويأوى إلى زُغبٍ مساكينَ دونهمَ فلا لا تخطأهُ الرِّفاقُ مَهْوبٌ

فكلمة : مَهْوبٌ، أصلها: مَهْيَبٌ، من الفعل هاب يهيب، بناه على قول من قال : قد هُوبَ الرجلُ، وقلب الياء واواً للمناسبة بين لام الكلمة وعينها<sup>(١)</sup>.

ومن المحاذاة الصوتية عن طريق القلب كتابة المصحف؛ مثلاً إنهم كتبوا : ﴿وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَى﴾<sup>(٢)</sup> بالياء وهو من ذوات الواو، لما قُرُنَ بغيره مما يكتب بالياء؛ والضحي ، وقد نظم فى ذلك أبو البقاء الكفوى قوله :

قَدْ يَقْرُنُ بى امرؤٌ فيُعْطَى شأنى كالليلِ إذا سَجَى ليأتينى<sup>(٣)</sup>

وفى الحديث الشريف: إن المنافق إذا وُضع فى قبره سُئل عن محمد ﷺ وما جاء به ، فيقول لا أدري، فيُقال: «لا دَرَيْتَ ولا تَلَيْتَ ولا اهتديت» ومعنى: ولا تليت: ولا تلوت؛ أى لا قرأت ولا درست، من الفعل تلا يتلو، فقالوا: تليت بالياء ليعاقب بها الياء فى دَرَيْتَ ؛ وليزدوج الكلام مع: دريت، واهتديت<sup>(٤)</sup>. وفى الصحاح: يُقال: لا دَرَيْتَ ولا تَلَيْتَ؛ تزويجاً للكلام، والأصل: ولا ائتليت، وهو افتعلت من قولك: ما ألوتُ هذا؛ أى ما استطعته؛ أى ولا استطعت<sup>(٥)</sup>.

وفى الأساس: «تقول العرب: «الموت طريق ميتاء، وهو لكل حىٍّ ميداء»

(١) أدب الكاتب ٤٠٥ .

(٢) سورة الضحى ٢ .

(٣) الكليات لأبى البقاء ٨٥٦ .

(٤) اللسان : تلا ٤٤٥/١، الأشباه والنظائر فى النحو ١٥/١ .

(٥) الصحاح: تلو، الزهر للسيوطى ٣٤٢/١ .

والقياس : مِثْنَاءً بالهمز، على وزن مِفْعَالٍ من أُنِيت، أى طريق يَأْتِيهِ الناس، والدليل على أن الكلمة بالهمز قوله عليه الصلاة والسلام فى حديث آخر : «لولا أنه وعد حق وقول صدق وطريق مِثْنَاءً لَحَزْنَا عَلَيْكَ يَا إِبْرَاهِيمَ» ، وإنما قلبت العرب الهمزة ياء فى : «مِثْنَاءً» لتحاذى كلمة : مِثْنَاءً<sup>(١)</sup> .

ومن المحاذاة أيضاً قول العرب : فلان كريم المواتاة، جميل المواساة» بقلب الهمزة واواً فى الكلمتين : المواتاة، والمواساة، وأصلها : المواتاة من آتى، والمواساة من آسى، وإنما قلبت الهمزة واواً لتحقيق المحاذاة رغم أن الجوهري نسب ذلك إلى لغة العامة، والأصل تحقيق الهمز<sup>(٢)</sup> . وقد يحدث عكس ما سبق ؛ أى تتحول الواو إلى همزة لتحقيق المحاذاة ؛ فى قوله عليه الصلاة والسلام : « اللهم إنى أعوذ بك من الأُلس والأُلُق » ، فالأُلس : الخداع والخيانة، والأُلُق : الجنون، وأصل الأُلُق : الوَلُق، وإنما قلبت الواو همزة لتزدوج مع الكلمة السابقة عليها، وهى الألس، وتحقق بهما معاً المحاذاة الصوتية<sup>(٣)</sup> .

ومن ذلك قول العرب : « إنه لأُمُور بالمعروف نَهْوٌ عن المنكر» ، قال ابن برّى : كان قياسه أن يُقال : نهى ؛ لأن الواو والياء إذا اجتمعتا وسبق الأولى بالسكون قلبت الواو ياء، ومثل هذا فى الشذوذ : قولهم فى جمع فتى فتوٌ ، وإنما قلبت الياء واواً لتحقيق المحاذاة بين : أُمُورٌ، ونَهْوٌ<sup>(٤)</sup> .

ومنه أيضاً قول العرب : «أثقلُ من البرْدُونِ ، وأضرُّ من الجرْدُونِ» ،

(١) الأساس ٣/١ : أنى ، التاج ١٠/٨ - ٩ : أنى .

(٢) صحاح الجوهري : أنى ، الأساس ٤/١ : أنى ، التاج ١٠/١٠ : أنى .

(٣) اللسان ١/١١٠ : ألق .

(٤) الأساس ١٩/١ : أمر، التاج ١٠/٣٨١ : نهى .

والبرذون: الدابة، وقيل: ضرب من الخيل من غير نتاج العراب، والجِرْدُون أصلها: الجِرْدَان، بالالف؛ وهى نوع من الأحناش، وقيل من السباع، وقيل الذكر الكبير من الفأر، وإنما قلبت الالف واوًا فى: الجِرْدُون لتحاذى كلمة: البرذون قبلها<sup>(١)</sup>.

ويقول العرب أيضًا: «فى أذنه طَرَشٌ»، وفى جلده بَرَشٌ» والبرش أصله: البرص، ولكن العرب كرهوا أن يقولوا: البرص - بالصاد - فقلبوا الصاد شيئًا، وأطلقوا على جذيمة بن مالك: الأبرش، وكان به برص، فكفوا به عنه، ومن هنا دخلت مادة (برش) فى المعاجم العربية لتدل على كل ما فيه نُقْطٌ بيض، إلى جانب تحقق المحاذاة بين كلمتى: طَرَشٌ، وبرش، ويبدو أن المحاذاة هى التى جعلت العرب يستعملون الكلمة بعد ذلك بالشين إلى جانب السبب النفسى الذى أشار إليه أصحاب المعاجم<sup>(٢)</sup>. وجاء فى تثقيف اللسان لابن مكى: فأما قولهم: جعله الله فالاً لا يفيل؛ أى لا يخيب، فعلى تسهيل الهمزة ليتجانس الكلام، والأصل: الفأل ضد الطيرة، مهموز، كما قالوا: جئته بالغدايا والعشايا، و«ارجعن مأزورات غير مأجورات»<sup>(٣)</sup>.

٢ - الحذف: قد تزيد العرب صوتًا أو تحذف صوتًا لتحقيق التوازن بين الكلمات؛ ومما حذفته العرب لتحقيق المحاذاة بين الكلمات قول لبيد بن ربيعة:

إِنَّ تَقْوَى رَبَّنَا خَيْرٌ نَفْلٌ      وَيَا ذَنَ اللّٰه رِشَى وَعَجَلٌ

فكلمة عَجَلٌ أصلها: عَجَلَى بإلحاق ياء المتكلم، ولكنه حذفها وسكّن عين الكلمة ولامها لتحاذى كلمة: نَفْلٌ. ومنه قول الأعشى:

(١) الأساس ٤١/١: برذ، اللسان ٢٥٢/١، ٥٩١: برذ، جرد.

(٢) الأساس ٤٢/١: برش، اللسان ٢٥٧/١: برش.

(٣) تثقيف اللسان، ابن مكى الصقلی، تحقيق د. عبد العزيز مطر، ص ١٥٩.



ومن شأنىء كاسف وجهه إذا ما انتسبت له أنكرن

فكلمة : أنكرن أصلها : أنكرنى بإلحاق ياء المتكلم ، ولكنه حذفها واكتفى بنون الوقاية ساكنة لتحاذى قافية الأبيات<sup>(١)</sup> .

وقد ورد فى القرآن الكريم كثير من الحروف المحذوفة لحفظ التوازن بين الكلمات ولتحقيق المحاذاة بين الفواصل القرآنية ؛ كما فى قوله تعالى : ﴿وَاللَّيْلِ إِذَا يَسْرِ﴾<sup>(٢)</sup> ويسر أصلها : يسرى بالياء ، وحُذفت الياء لتحقيق المحاذاة مع ما قبلها وما بعدها من آيات ، وقوله تعالى : ﴿الْكَبِيرُ الْمُتَعَالِ﴾<sup>(٣)</sup> وأصلها المتعالى ، وقوله تعالى : ﴿يَوْمَ التَّلَاقِ﴾ و ﴿يَوْمَ التَّنَادِ﴾<sup>(٤)</sup> بحذف ياء المنقوص مع أن الاسم معرفٌ بآل ، وكلام العرب لا يحذف ياء المنقوص المعرف بآل ، وإنما حُذف هنا لتحقيق المحاذاة الصوتية . ومنه قوله تعالى : ﴿فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذْرُ﴾ وقوله تعالى : ﴿فَكَيْفَ كَانَ عِقَابِ﴾ بحذف ياء الإضافة فى الآيتين ؛ وأصلها : ونذرى ، عقابى ، كل ذلك من أجل تحقيق الجانب الجمالى فى الكلام المتمثل فى المحاذاة أو المناسبة بين الكلمات ، كما فى قوله تعالى أيضاً : ﴿وَمَا كَانَتْ أُمُّكَ بَغِيًّا﴾<sup>(٥)</sup> فحذف منها تاء التانيث ، وأصلها : بغيةً ، فلما حُوِّلت عن فاعل نقص منها حرف<sup>(٦)</sup> . وكقوله تعالى : ﴿هَؤُلَاءِ ضِيفَى فَلَا تَفْضَحُون﴾ وأصلها فلا تفضحونى ، وفى أساس البلاغة : تقول العرب : « لم يزل يقرظ أحياكم ، ويؤبّن موتاكم »<sup>(٧)</sup> فقد حُذفت الهمزة من أحياكم لإحداث المحاذاة مع كلمة : موتاكم . ويقول الفقهاء : « إذا استقفا فقا فى رمضان » والقياس : استقاء فقاء - بالهمز والمد فيهما جميعاً - وإنما سهّل

(١) فقه اللغة وسر العربية ٣٥٩ .

(٢) الفجر آية ٤ .

(٣) الرعد آية ٩ .

(٤) غافر آية ١٥ ، ٣٢ .

(٥) مريم ٢٨ .

(٧) الأساس ٢/١ : ابن .

(٦) الإتيقان للسيوطى ١٧١/٣ .

الهمز لتتحقق المحاذاة بين الكلمتين : استقأ، فقا<sup>(١)</sup> . ومنه قوله تعالى : ﴿قَالَ رَبِّ ارْجِعُونِ﴾<sup>(٢)</sup> والقياس ارجعونى - بياء المتكلم - ولكن حُذفت للفاصلة القرآنية والمحاذاة الصوتية .

وفى التاج : والحرّ بالكسر وتشديد الراء : فرج المرأة لغة فى المخففة، لأن العرب استثقلت حاء قبلها حرف ساكن فحذفوها وشددوا الراء، وهو فى حديث أشراط الساعة : يستحل الحرّ والحرير، قال ابن الأثير : هكذا ذكر أبو موسى فى حرف الحاء والراء، وقال : الحر بتخفيف الراء : الفرج، وأصله : حَرَح بكسر الحاء وسكون الراء، ومنهم من يشدد الراء وليس بجيد، فعلى التخفيف يكون فى ح ر ح، وإنما حذف رسول الله ﷺ الحاء من الكلمة الثلاثية لتحدث المحاذاة بين : الحر والحرير<sup>(٣)</sup> .

٣ - الزيادة : وأما ما زادته العرب من أصوات فى الكلمة لتحقيق المحاذاة، قولهم : «لكل ساقطة لاقطة» ويعنون به : لكل نادرة من الكلام من يحملها ويشيعها بين الناس، وكان ينبغى أن يُقال : لكل ساقطة لاقطٌ، ولكنهم أدخلوا الهاء فى كلمة اللاقطة ليزدوج الكلام وتتحقق المحاذاة<sup>(٤)</sup> .

ومن المحاذاة الصوتية عن طريق الزيادة بقاء حرف العلة مع وجود أداة جازمة تقتضى الحذف؛ كما فى قوله تعالى : ﴿لَا تَخَافُ دَرْكًا وَلَا تَخْشَى﴾<sup>(٥)</sup> طه ٧٧ ، وقوله تعالى : ﴿سَنَقْرَأُكَ فَلَا تَنْسَى﴾<sup>(٦)</sup> الأعلى ٦ ، على القول بأنه نهى<sup>(٥)</sup> . ويقول العرب فى أمثالهم : بفيه البرى، وحمى خيرى، وشر ما يرى، فإنه خيرى، والبرى هو التراب، وخيرى هى خير، وخيسرى :

(١) تثقيف اللسان ٢٦١ .

(٢) المؤمنون ٩٩ .

(٣) انظر : تاج العروس : حرر ١٣٤/٣ .

(٤) أدب الكاتب لابن قتيبة ٥١ .

(٥) الإتيان للسيوطى ٢٩٧/٣ .

الخسران والهلاك، ونلاحظ زيادة الألف فى : خير، وخيسر، لتحدث المحاذاة بين الكلمات الأربع: البرى، خيرى، ما يرى، خيسرى، ولا يُقال : خيرى، وخيسرى بالألف إلا فى هذا الإتيان فقط، أما فى غير هذا فيقال : خير، وخيسر بدون الألف<sup>(١)</sup> .

وفى القرآن الكريم زادت بعض الحروف لتحقيق المحاذاة بين الفواصل القرآنية ؛ كما فى قوله تعالى : ﴿وَتَقْتُلُونَ بِاللَّهِ الظُّنُونَا﴾ {الاحزاب ١٠}، فقد زادت الألف لتحاذى الفاصلة التى قبلها: بصيرا، والتى بعدها: شديداً، وقوله تعالى : ﴿فَاضْلُوا السَّبِيلَ﴾ {الاحزاب ٦٧} ، فقد زاد حرف الألف، وأصلها: السبيل، لتحاذى الفاصلة التى قبلها والتى بعدها، وقوله تعالى : ﴿يَا لَيْتَنَا أَطَعْنَا اللَّهَ وَأَطَعْنَا الرَّسُولَ﴾ {الاحزاب ٦٦} بزيادة الألف لتحاذى بقية فواصل السورة<sup>(٢)</sup> .

ومن مظاهر المحاذاة الصوتية عن طريق الزيادة فى القرآن الكريم إثبات هاء السكت فى قوله تعالى : ﴿مَا أَغْنَىٰ عَنِّي مَالِي ، هَلَكَ عَنِّي سُلْطَانِي﴾ {الحاقة ٢٨}، ٢٩ فأصل ماله: مالى، وأصل سلطانيه: سلطاني، ثم زادت هاء السكت لتحديث المحاذاة مع الفاصلة التى قبلها والتى بعدها؛ فى قوله تعالى : ﴿يَوْمَئِذٍ تُعْرَضُونَ لَا تَخْفَىٰ مِنْكُمْ خَافِيَةٌ ، فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ فَيَقُولُ هَؤُلَاءِ أَوْفُوا بِكِتَابِيهِ ، إِنِّي ظَنَنْتُ أَنِّي مُلَاقٍ حِسَابِيهِ﴾ {الحاقة ١٨، ١٩، ٢٠} .

وكذلك فى قوله تعالى ﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا هِيَهٗ﴾ وأصلها فى ماهى ، وزادت الهاء لتحاذى ما قبلها: فأمه هاوية، وما بعدها: ﴿نَارُ حَامِيَةٍ﴾ {القارعة ٩، ١٠}.

(١) مجمع الأمثال ١/ ١٣٠، ديوان الأدب للفارابى ٢/ ٨٠ باب فيعل، اللسان: برى ١/ ٢٧٢: خسر . ١١٥٦/٢ .

(٢) حول فواصل الآى فى القرآن الكريم انظر: الإتيان فى علوم القرآن للسيوطى ٣/ ٢٩٠ - ٣٠١ .

ومن ذلك قوله - ﷺ - : « ليس في حَجْرَةٍ ولا بَغْلَةٍ زكاة » ؛  
والْحَجْرُ : الفرس الأثني ، لم يدخلوا فيه الهاء ؛ لأنه اسم لا يشركها فيه المذكر ،  
والجمع : أحجار ، وحُجُورَةٌ ، وحُجُورٌ ، وإلحاق الهاء هنا لمشاكلة كلمة : بَغْلَةٌ ،  
وهو باب واسع <sup>(١)</sup> .

وجاء في التاج : سأل الرشيد اليزيدي والكسائي عن قصر الشراء ومدّه ،  
فقال الكسائي : مقصور لا غير ، وقال اليزيدي : يُمدُّ ويُقصر ، فقال له  
الكسائي : من أين لك ؟ فقال اليزيدي : من المثل السائر : لا يُغْتَرُ بِالْحُرَّةِ عام  
هدائها ، ولا بالأمة عام شرائها ، قال المناوي : ولقائل أن يقول إنما مدّ الشراء  
لازدواجه مع ما قبله فيحتاج لشاهد غيره <sup>(٢)</sup> .

ومن أمثال العرب التي تحقق فيها المحاذاة بالزيادة قولهم : « لا يُنْبِتُ البَقْلَةُ  
إلا الحَقْلَةَ » <sup>(٣)</sup> ؛ أي لا يلد الوالد إلا مثله ، وقال الأزهري : يُضْرَبُ مثلاً للكلمة  
الخسيسة تخرج من الرجل الخسيس ، وقال ابن سيده : وأراهم أنثوا الحقلة في  
هذا المثل لتأنيث البَقْلَةِ ، وبذلك تتحقق المحاذاة بينهما عن طريق زيادة تاء  
التأنيث .

وفي حديثه ﷺ : « يا أبا عُمَيْرٍ ، ما فَعَلَ السُّغَيْرُ ؟ » والنُّغْرُ طائر صغير  
مثل العصفور ، وبتصغيره جاء الحديث <sup>(٤)</sup> ، وإنما صَغَّرَهُ الرسول ﷺ رغم أن  
الكلمة تدل على الطائر الصغير لكي تحاذي كلمة : «عُمَيْرٌ» قبلها . ومن مظاهر  
المحاذاة الصوتية عن طريق الزيادة قوله تعالى : ﴿ولو شاء الله لسلطهم عليكم  
فلقاتلوكم﴾ فقد زادت اللام في «فلقاتلوكم» لمحاذاة اللام في «لسلطهم» وهي

(١) اللسان : حجر ٧٨٤/٢ ، التاج : حجر ١٢٥/٣ .

(٢) التاج ١٩٦/١٠ : شرى .

(٣) ديوان الأدب ١٤٤/١ باب فَعْلَةٌ ، مجمع الأمثال ٢٣٣/٢ ، اللسان ٩٤٥/٢ : حقل .

(٤) ديوان الأدب ٢٥٣/١ : فُعْلٌ .

جواب «لو» ، فالقياس : لسلَّطهم عليكم فقاتلوكم ، وإنما زادت اللام للمحاذاة، ومثله قوله تعالى : ﴿لَأُعَذِّبَنَّهُ عَذَابًا شَدِيدًا أَوْ لَأَذْبَحَنَّهُ أَوْ لِيَأْتِنِيَّ بِسُلْطَانٍ مُّبِينٍ﴾ ، فاللام فى «لَأُعَذِّبَنَّهُ» ، لَأَذْبَحَنَّهُ» لام القسم، أمَّا اللام فى «لِيَأْتِنِيَّ» فإنما جاءت للمحاذاة ، فليس هذا موضع قسم ، لكنه لما جاء على إثر ما يجوز فيه القسم أُجرى مجراه<sup>(١)</sup> . ومن ذلك قوله تعالى : ﴿يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَمَا يُخَادِعُونَ إِلَّا أَنْفُسَهُمْ﴾ {البقرة ٩}، قرأ نافع وابن كثير وأبو عمرو «وما يخادعون» بزيادة الألف لمحاذاة اللفظ الأول، وبذلك تكون المفاعلة من الجانبين<sup>(٢)</sup> .

ومن مظاهر المحاذاة الصوتية عن طريق الزيادة إدخال (ال) التعريف على العلم ؛ وذلك فى قول الشاعر :

رأيت الوليد بن اليزيد مباركا .

والأصل : الوليد بن يزيد ؛ ولكنه أدخل (ال) عليها لتحاذى كلمة : الوليد قبلها، قال ابن جرير : حسن دخول اللام فى اليزيد الإتيان للوليد<sup>(٣)</sup> .

٤ - الإمالة : مصدر الفعل : أملته وأميله إمالة، والميل : الانحراف عن القصد؛ يقال : مال الشيء ، ومال الحاكم : إذا عدل عن الاستواء . والإمالة فى الاصطلاح عدول بالألف عن استوائه وجنوح به إلى الياء ، فيصير مخرجه بين مخرج الألف المفخمة وبين مخرج الياء<sup>(٤)</sup> .

وقد تُتخذ الإمالة وسيلة من وسائل تحقيق المحاذاة الصوتية بين الكلمات ؛ ففى القرآن الكريم قُرئ بالإمالة ﴿والشمس وضحاها﴾ ، والضحى اسم

(١) الكليات لأبى البقاء ٨٥٦ .

(٢) السبعة فى القراءات لابن مجاهد ١٤١ ، تقريب النشر لابن الجزرى ٩٠ .

(٣) الأشباه والنظائر ١٥/١ - ١٦ . (٤) شرح المفصل لابن يعش ٥٤/٩ .

مقصود وهو جمع ضحوة كقرية وقُرى ، والقياس يأبى الإمالة لأنه من الواو وليس فيه كسرة ، وإنما أمالوه حين قُرُن بـ : جلاًها ، ويغشاها ، وكلاهما مما يُمال لأن الألف فيهما من الياء ، لقولك : جليته ، وكذلك ألف يغشى ، لقولك فى التثنية : يغشيان ، فأرادوا المشاكلة ، ولو انفردت كلمة الضحى وحدها لم تمل ، وإنما أُميلت لازدواج الكلام حين اجتمع مع ما يُمال<sup>(١)</sup> .

وكما أمالوا فى « الشمس وضحاها » أمالوا أيضاً فى : « والضحى ، والليل إذا سجي » وذلك لتحقيق المحاذاة بين الكلمات .

وقد أمالوا الفتحة فى قوله تعالى : ﴿ لا يستوى القاعدون من المؤمنين غير أولى الضرر ﴾ فى كلمة الضرر وكذلك فى قوله تعالى : ﴿ وَقَدْ بَلَغْنِي الْكِبَرُ ﴾<sup>(٢)</sup> وفى قولهم : من الضرر ، ومن الكبر ، ومن الصغر ، ومن المحاذر ، والفتحة تُمال كما تُمال الألف ، لأن الغرض من الإمالة هو مشاكلة الأصوات وتقريب بعضها من بعض ، وذلك موجود فى الحركة كما هو موجود فى الحرف ، لأن الفتحة من الألف ، وقد كان المتقدمون يسمون الفتحة الألف الصغيرة ، والضممة الواو الصغيرة ، والكسرة الياء الصغيرة ، لأن الحركات والحروف أصوات ، وإنما رأى النحويون صوتاً أعظم من صوت فسموا العظيم حرفاً والضعيف حركة ، وإن كانا فى الحقيقة شيئاً واحداً ، فلذلك دخلت الإمالة فى الحركة كما دخلت الألف ؛ إذ الغرض إنما هو تجانس الأصوات وتقريب بعضها من بعض ، فكل ما يوجب إمالة الألف يوجب إمالة الحركة التى هى الفتحة ، وما يمنع إمالة الألف يمنع إمالة الفتحة ، وأكثر ما جاء ذلك مع الراء المكسورة ، تقول : من الكبر ، ومن الصغر . . . إلخ فأمالوا الفتحة بأن أجنحوها إلى الكسرة فصارت بين الفتحة وبين الكسرة<sup>(٣)</sup> .

(٢) آل عمران آية ٤٠ .

(١) السابق ٦٤ / ٩ .

(٣) شرح المفصل لابن يعيش ٦٤ / ٩ - ٦٥ .

٥ - فكُ ما استحقَّ الإدغام :

كما فى قول النبى ﷺ فى حديثه لنسائه : « ليت شعرى أيتكنَّ صاحبةُ الجملِ الأدبِ، تخرج فتنبحها كلابُ الحوَّابِ » ؟ أراد: الأدبَ، وهو الكثير الوبر؛ وإنَّما فكُ التضعيف ليوافق ويحاذى به كلمة: الحوَّاب<sup>(١)</sup>.

## القسم الثانى : المحاذاة الصرفية

نعنى بها تغيير يطرأ على بنية الكلمة وصيغتها لكى تتفق مع كلمة سابقة عليها أو لاحقة بها فى الوزن الصرفى، ومن خلال حصر الألفاظ التى تحققت فيها المحاذاة الصرفية يمكن تصنيفها فى عدة صور: مجئ المشتق على غير قياس، والجمع على غير قياس، وتحويل المجرى إلى مزيد والعكس، والاستغناء بالمفرد عن المثنى أو الجمع والعكس، وإيثار بعض صيغ المشتقات، والإتباع .

### أولاً: مجئ المشتق على غير قياس :

كما فى قوله عليه الصلاة والسلام : « أعيذه من كلِّ عامَّة ولامَّة ومن شرِّ كلِّ سامَّة »، قال أبو عبيد: ولم يزل مُلمَّة، وأصلها من أَلَمَتَ بالشئ تأتية وتلمُّ به؛ ليزاوج قوله : «ومن شرِّ كلِّ سامَّة»<sup>(٢)</sup>، وقال ابن فارس: ومثله قولهم: «أعوذ بك من السامة واللامَّة، فالسامة من قولك: سَمَتَ إذا خصَّتْ، واللامَّة أصلها من أَلَمَت، وكان حقُّه أن يقول: من السامة والمُلمَّة، لكن لما قُرنت بالسامة جُعِلت فى وزنها»<sup>(٣)</sup>.

وجاء فى الخبر : «خير المال سِكَّة مأبورة، أو مُهرة مأمورة» والسكَّة: السطر من النخل، والمأبورة: الملقحة، والمهرة المأمورة: كثيرة الولد، أراد: خير

(١) اللسان ١٣١٦/٢ : دب ، الأشباه والنظائر ١٥/١ .

(٢) تاج العروس ٦٣/٩ : لم . (٣) الصحاحى ٢٣١ ، الزهر ٣٣٩/١ .

المال ما كان زرعاً أو نتاجاً، والفعل من: مأمورة أمر، وكان القياس يقتضى أن يقول: مؤمّرة، وإنما أتى بها: مأمورة، للازدواج، لأنهم أتبعوها: مأبورة، فلما ازدوج اللفظان جاءوا بمأمورة على وزن مأبورة، كما قال عليه السلام : ارجعن مأزورات غير مأجورات، وإنما هو موزورات من الوزر<sup>(١)</sup>.

ومن المحاذاة الصرفية عن طريق مجئ المشتق على غير قياس قول النابغة الذبياني:

كليني لهم يا أميمة ناصبٍ      وليلٍ أفاقيه بطيء الكواكبِ

فالفعل من : ناصب: أنصب، وكان القياس أن يُشتق اسم الفاعل منه على: مُنصب، ولكنه أراد تحقيق المحاذاة مع: الكواكب، بدليل قول أبي طالب: ألا مَنْ لَهُمْ آخِرَ اللَّيْلِ مُنْصِبٍ<sup>(٢)</sup>. وناصب: مُتعب، وفعله: أنصب، فهو من الوصف الذى لم يجر على فعله، وجاء على معنى: ذى نصب<sup>(٣)</sup>. ومن ذلك أيضاً: هو البشير النذير، وكان القياس يقتضى أن يُقال: المُبشّر؛ لأنها من الفعل: بَشَّرَ، والمُنذِر؛ لأنها من الفعل أنذر، ولكن حدثت المحاذاة بين الكلمتين عن طريق مجيئهما على غير قياس.

ويقول الثعالبي: ومن سنن العرب أنها قد تحذف من الكلام بعضه لتحقيق المحاذاة؛ كما فى قولهم: ليلٌ نائمٌ؛ أى يُنام فيه، وليلٌ ساهرٌ؛ أى يُسهر فيه، وفى القرآن الكريم: ﴿فِي يَوْمٍ عَاصِفٍ﴾؛ أى يومٌ عاصفٌ الرّيح، وقد حدث الحذف لتحقيق المحاذاة<sup>(٤)</sup>.

## ثانياً: الجمع على غير قياس:

قد يجمع العرب الكلمة على غير قياس لتحاذى كلمة قبلها أو بعدها، يقول

(١) اللسان: أمر ١٢٦/١ - ١٢٧، المزهر ١/ ٣٤٠.

(٢) اللسان: نصب ٦/ ٤٤٣٥

(٣) الكتاب ٣٠٧/٢ «هامش».

(٤) فقه اللغة وسر العربية ٣٤٨



ابن فارس : ومن سنن العرب المحاذاة ، وذلك أن تجعل كلاماً ما بحذاء كلام فيؤتى به على وزنه لفظاً وإن كان مختلفين ؛ فيقولون : الغدايا والعشايا ، فقالوا : الغدايا ، لانضمامها إلى العشايا<sup>(١)</sup> .

وفى اللسان : وقالوا : إني لآتيه بالغدايا والعشايا ، والغداة لا تُجمع على الغدايا ، ولكنهم كسّروه على ذلك ليطابقوا بين لفظه ولفظ العشايا ، فإذا أفردوه لم يكسّروه .

وقال ابن السكّيت فى قولهم : إني لآتيه بالغدايا والعشايا ، قال : أرادوا جمع الغداة فأتبعوها العشايا للازدواج ، وإذا أفرد لم يجز ، ولكن يُقال : غداة والجمع غدوات لا غير<sup>(٢)</sup> .

ومن ذلك أيضاً قول القلاخ بن حُبابه ، وقيل ابن مُقبل :

هَتَاكِ أَخْبِيَةِ وَلَاجِ أَبُوبَةِ  
يَخْلُطُ بِالْبَرِّ مِنْهُ الْجَدُّ وَاللِّينَا

فكلمة : باب تُجمع قياساً على أبواب وبيبان ؛ وإنما قال أبوبة للازدواج لمكان أخبية ، ولو أفرده لم يَجْزُ ، وكان الوزير ابنُ الْمَغْرَبِيِّ يسألُ عن هذه اللفظة على سبيل الامتحان ، فيقول : هل تعرفُ لفظة تُجمع على أَفْعَلَةٍ على غير قياس جمعها المشهور طلباً للازدواج ، يعنى هذه اللفظة ؛ وهى أبوبة<sup>(٣)</sup> .

### ثالثاً : تحويل المجرد إلى مزيد والعكس :

قد يتحوّل الفعل المجرد إلى فعل مزيد ، وقد يتحول المزيد إلى مجرد لتحقيق المحاذاة بين كلمتين ، ومن ذلك ما جاء فى الصّحاح : قال الفراء : يُقال : هنأنى الطعام ومَرَأْنى ، والفعل مرأ تحوّل إلى مجرد ، وأصله : أمرأنى ،

(١) الصحاحى فى فقه اللغة ٢٣١ ، وانظر فقه اللغة وسر العربية ٣٤٨ .

(٢) اللسان (غدو) ٥ / ٣٢٢٠ . (٣) اللسان (بوب) ١ / ٣٨٢ - ٣٨٣ .

فإذا أتبعوها كلمة هنأتى قالوها بغير الألف، فإذا أفردوها قالوا: أمرأتى بزيادة الهمزة فى أوله<sup>(١)</sup>.

وفى اللسان: قالت العرب: أكلتُ طعامًا فهنأتى ومرأتى، معناه إذا أفرد: أمرأتى، فحذف منه الألف لما أتبع ما ليس فيه الألف<sup>(٢)</sup>.

ومن ذلك أيضاً قول العرب: له عندى ما ساءه وناءه، والفعل: ناء لا يتعدى، والقياس أن يقال: أناءه، وإنما حذف الهمزة ليحاذى الفعل: ساءه، وفى اللسان: أراد ساءه وناءه، وإنما قال: ناءه وهو لا يتعدى، لأجل: ساءه، فهم إذا أفردوا قالوا: أناءه، لأنهم إنما قالوا: ناءه، وهو لا يتعدى لمكان ساءه ليزدوج الكلام<sup>(٣)</sup>.

وأما تحويل المجرد إلى مزيد من أجل تحقيق المحاذاة ما قاله الكميت :

أُبْرِقْ وَأَرْعِدْ يا يَزِيدُ      سَدَ فَمَا وَعِيدُكَ لى بَضَائِرُ

فالفعلان : أبرق ، وأرعد مجردان : بَرَقَ ، ورَعَدَ ، ففى حديث أبى مُلَيْكَةَ : إِنَّ أَمَّنَّا مَاتَ حِينَ رَعَدَ الْإِسْلَامُ وَبَرَقَ بغير همزة، والأمر منهما : أبرقْ ، وارْعُدْ ، كما يقول ابن أحرمر :

يا جُلٍّ ما بَعُدَتْ عَلَيْكَ بِلَادُنَا      فابْرِقْ بِأَرْضِكَ ما بدا لَكَ وارْعُدْ

ولم يكن الأصمعى يرى بيت الكميت حُجَّةً ؛ لأنه عنده مولد ، وإنما قال : أبرقْ ، وأرْعِدْ للازدواج ، ولتحقيق المحاذاة بين الفعلين<sup>(٤)</sup>.

(١) الصحاح (مرا) ١/ ٧٢ .

(٢) اللسان (نوا) ٦/ ٤٥٦٧ ، الزهر ١/ ٣٣٩ - ٣٤٢ .

(٣) اللسان (نوا) ٦/ ٤٥٦٧ ، الزهر ١/ ٣٣٩ - ٣٤٢ .

(٤) إصلاح المنطق ٢٢٦ ، أدب الكاتب ٢٤٥ ، اللسان : رعد .

## رابعاً: الاستغناء بالمفرد عن المثنى أو الجمع والعكس :

قد تتحقق المحاذاة بين الكلمات عن طريق الإتيان بالمفرد فى موضع الثنية أو الجمع ، ومن ذلك قوله تعالى : ﴿فَلَا يُخْرِجَنَّكُمَا مِنَ الْجَنَّةِ فَتَشْقَى﴾<sup>(١)</sup> وكان القياس يقتضى : فتشقى إلا أن الحس الجمالى فى القرآن الكريم أبى إلا أن يحقق المحاذاة بين الفواصل القرآنية ؛ فى الآية السابقة عليها : إلا إبليس أبى ، والآية التالية : ألا تجوع فيها ولا تعرى .

ومن ذلك قوله تعالى : ﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَنَهَرٍ﴾<sup>(٢)</sup> كان القياس يقتضى أن تُجمع : أنهار ، لجمع جنّات ، ولكن الفاصلة فى السورة من أولها إلى آخرها تنتهى بالراء ، حتى عنوان السورة : القَمَر ، فجاءت الآيات منسجمة فى نهاية بديعة ، وقد تحققت المحاذاة بين الكلمات التى انتهت بها كل آية ، وكقوله تعالى : ﴿وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا﴾<sup>(٣)</sup> ، والقياس رفقاء . وإنما استغنى بالمفرد : رفيقاً عن الجمع : رفقاء لتحقيق المحاذاة الصرفية ، والتزام الفاصلة قبلها وبعدها ، وكذلك قوله تعالى : ﴿وَالْمَلَائِكَةُ بَعْدَ ذَلِكَ ظَهِيرٌ﴾<sup>(٤)</sup> ، وكان القياس يقتضى جمع كلمة : ظهير جمعاً سالماً أو مكسراً على : ظهرون ، أو ظُهرَاء ، ولكنه استغنى بالمفرد عن الجمع لتحقيق المحاذاة<sup>(٥)</sup> .

ومن ذلك أيضاً قوله تعالى : ﴿وَأَجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا﴾<sup>(٦)</sup> قال أبو عبيدة : إماماً هو واحد يدل على الجمع كقوله : فى حلقكم عظماً وقد شُجينا ، وإن المتقين فى جنات ونهر» ، وكان القياس يقتضى جمع إمام على أئمة ، واجعلنا للمتقين أئمة ، ولكن المحاذاة بين نهايات الآيات هى التى جعلت المفرد فى موضع الجمع أو المناسبة .

(٣) النساء ٦٩ .

(٢) القمر ٥٤

(١) طه ١١٧ .

(٥) تأويل مشكل القرآن ٢٨٤ ، ٢٨٥ .

(٤) التحريم ٤ .

(٦) الفرقان ٧٤ .

والمناسبة أمر مطلوب فى اللغة العربية، يرتكب لها أمور من مخالفة الأصول؛ يقول ابن الصائغ: وقد تتبعت الأحكام التى وقعت فى آخر الآى مراعاةً للمناسبة فعثرت منها على نيفٍ وأربعين حكماً<sup>(١)</sup>.

ومن ذلك أيضاً قول العرب: أقبل الحاجُّ والداجُّ، والحاجُّ الذين يحجُّون، والداجُّ الذين معهم من الأجراء والمكاريين والأعوان ونحوهم، وهذان اللفظان وإن كانا مفردين فالمراد بهما الجمع، كقوله تعالى: ﴿مستكبرين به سامراً تهجرون﴾، وإنما وُضع المفرد موضع الجمع لتحقيق المحاذاة بين الكلمتين: الحاجُّ والداجُّ، ولا تتحقق لهما لو جُمعا<sup>(٢)</sup>.

ومن مظاهر الاستغناء بالمفرد عن المثنى فى القرآن الكريم من أجل الفاصلة قوله تعالى: ﴿إِذْ أَنْبَعَثَ أَشْقَاهَا﴾<sup>(٣)</sup> فإنهما رجلان: قُدار وآخر معه، ولم يقل: أشقيها، للفاصلة، ولتحقيق المحاذاة بين الآيات.

أما من مظاهر الاستغناء بالمثنى عن المفرد قوله تعالى: ﴿وَلَمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّاتٍ﴾<sup>(٤)</sup> قال الفراء: أراد جنةً، كقوله تعالى: ﴿فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَى﴾<sup>(٥)</sup> فثنى لأجل الفاصلة، والقوافى تحتل من الزيادة والتقصان ما لا يحتمله سائر الكلام<sup>(٦)</sup>. ومنه قوله تعالى: ﴿يَخْرُجُ مِنْهُمَا اللُّؤْلُؤُ وَالْمَرْجَانُ﴾<sup>(٧)</sup>، فاللؤلؤ والمرجان لا يخرجان إلا من الماء المالح لا من العذب، ولكنه استغنى بضمير المثنى: منهما عن الإفراد والتفصيل؛ لتظل الفاصلة القرآنية وتتحقق المحاذاة<sup>(٨)</sup>. ومن مظاهر الاستغناء بالجمع عن المفرد لتحقيق المحاذاة قوله تعالى:

(١) الإتيان فى علوم القرآن ٢٩٦/٣.

(٢) اللسان (دجج) ١٣٢٧/٢.

(٣) الشمس ١٢.

(٤) الرحمن ٤٦.

(٥) النازعات ٤١.

(٦) الإتيان فى علوم القرآن ٢٩٩/٣.

(٧) الرحمن ٢٢.

(٨) تأويل مشكل القرآن ٢٨٧.

﴿لَا يَبِيعُ فِيهِ وَلَا خِلَالٌ﴾<sup>(١)</sup> ، والقياس : ولا خُلَّةٌ ، كما في الآية الأخرى ، وإنما جاء بالجمع للفاصلة والمحاذاة .

خامساً : إثثار بعض الصيغ :

قد تؤثر اللغة بعض الصيغ دون بعض ؛ لأنه من خلالها تتحقق المحاذاة بين الكلمات ؛ ففي القرآن الكريم : ﴿وَالْتَيْنِ وَالزَّيْتُونَ ، وَطُورِ سِينِينَ ، وَهَذَا الْبَلَدِ الْأَمِينِ﴾<sup>(٢)</sup> فقد أثر القرآن : سينين على الأصل : سيناء ، وذلك لتحقيق المحاذاة بين الفواصل القرآنية : التين ، سينين ، الأمين . ومن ذلك أيضاً قوله تعالى : ﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا﴾<sup>(٣)</sup> فقد أثر صيغة فاعيل على فاعل من أجل الفاصلة . وقوله تعالى : ﴿إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عَجَابٌ﴾<sup>(٤)</sup> باستعمال صيغة فُعال وإيثارها على فاعيل .

وقد يؤثر القرآن الكريم وضع «فاعل» موضع «مفعول» والعكس ؛ ففي قوله تعالى : ﴿حِجَابًا مَّسْتُورًا﴾<sup>(٥)</sup> وُضِعَ «مفعول» موضع «فاعل» والمعنى حجاباً ساتراً ، وفي قوله تعالى : ﴿إِنَّهُ كَانَ وَعْدُهُ مَأْتِيًّا﴾<sup>(٦)</sup> وُضِعَ أيضاً «مفعول» موضع «فاعل» ؛ والمعنى : إنه كان وعده آتياً .

وقد يقع «فاعل» موقع «مفعول» في قوله تعالى : ﴿فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَاضِيَةٍ﴾<sup>(٧)</sup> والمعنى في عيشة : مرضية ، وفي قوله تعالى : ﴿مِنْ مَاءٍ دَافِقٍ﴾<sup>(٨)</sup> والتقدير : مدفوق . وإيثثار بعض هذه الصيغ جاء لتحقيق الفاصلة ، وكذلك لتحقيق المحاذاة بين نهايات الآيات ، ومنه قوله تعالى : ﴿أَوْ لَمْ يَرَوْا أَنَّا جَعَلْنَا حَرَمًا آمِنًا﴾<sup>(٩)</sup> ، والتقدير : مأموناً فيه ، فجعل الفاعل مكان المفعول ، وقوله

(١) إبراهيم ٣١ .

(٢) التين ١ ، ٢ ، ٣ .

(٣) مريم ٦٤ .

(٤) سورة ص ٥ .

(٥) الإسراء ٤٥ .

(٦) مريم ٦١ .

(٧) الحاقة ٢١ .

(٨) الطارق ٦ .

(٩) العنكبوت ٦٧ .

تعالى : ﴿وَجَعَلْنَا آيَةَ النَّهَارِ مُبْصِرَةً﴾<sup>(١)</sup> ، والتقدير : مُبْصِرًا بِهَا ، فقد جعل اسم الفاعل فى موضع اسم المفعول<sup>(٢)</sup> .

وقد تتحقق المحاذاة بإيثار صيغة الجمع للعاقل على صيغة الجمع لغير العاقل ، أى بإجراء غير العاقل مجرى العاقل ، كما فى قوله تعالى : ﴿رَأَيْتَهُمْ لِي سَاجِدِينَ﴾<sup>(٣)</sup> ؛ فقد أجرى الشمس والقمر والكواكب مجرى انعاقل . وكذلك قوله تعالى : ﴿كُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ﴾<sup>(٤)</sup> . فأسند للفعل واو الجماعة ، وعامل الليل والنهار معاملة العاقل ، كل ذلك من أجل تحقيق المحاذاة ومراعاة الفواصل<sup>(٥)</sup> . ومن مظاهر المحاذاة أيضاً العدول عن صيغة الماضى إلى صيغة الاستقبال من أجل الفاصلة والمحاذاة ؛ كما فى قوله تعالى : ﴿فَفَرِّقُوا كَذَّبْتُمْ وَفَرِّقًا تَقْتُلُونَ﴾<sup>(٦)</sup> ، والقياس كان يقتضى : وفريقًا قتلتُم<sup>(٧)</sup> .

ومن ذلك تذكير اسم الجنس أو تأنيثه حسب ما تقتضيه المحاذاة ، كما فى قوله تعالى : ﴿أَعْجَازُ نَخْلٍ مُنْقَعِرٍ﴾<sup>(٨)</sup> ، وقوله تعالى : ﴿أَعْجَازُ نَخْلٍ خَاوِيَةٍ﴾<sup>(٩)</sup> ، فاستعمل فى الأولى : منقعرٍ لتحاذى ما قبلها وما بعدها من آيات ، واستعمل فى الثانية : خاوية للسبب السابق ، فسورة القمر فواصلها : الراء ، وسورة الحاقة : فواصلها التاء المربوطة ، وبذلك تحققت المحاذاة فى اللفظ والمعنى أيضاً<sup>(١٠)</sup> .

سادساً : الإتيان : يُعدُّ الإتيان صورة من صور المحاذاة الصرفية ، وهو من سنن كلام العرب ، وقد عرفه أحمد بن فارس بقوله : هو أن تتبع الكلمة الكلمة على وزنهما أو رويها إشباعاً وتأكيذاً ، وقد سئل بعض العرب عن ذلك فقال : هو

(٣) يوسف ٤ .

(٢) تاويل مشكل القرآن ٢٩٦ .

(١) الإسراء ١٢ .

(٦) البقرة ٨٧ .

(٥) الإتيان ٣ / ٣٠٠ .

(٤) الأنبياء ٣٣ .

(٩) الحاقة ٧ .

(٨) القمر ٢٠ .

(٧) الإتيان ٣ / ٣٠١ .

(١٠) الإتيان ٣ / ٢٩٧ .

شئ تَدُّ به كلامنا، وذلك قولهم: ساغبٌ لاغبٌ، وهو خَبٌ ضَبٌ، وخرابٌ يبابٌ، وقد شاركت العجمُ العربَ فى هذا الباب<sup>(١)</sup>. وفى كتاب: الإتياع والمزاوجة يقول ابن فارس: هذا كتاب الإتياع والمزاوجة؛ وكلاهما على وجهين: أحدهما أن تكون كلمتان متواليَتان على روى واحد، والوجه الآخر: أن يختلف الروبَّان، ثم تكون بعد ذلك على وجهين: أحدهما: أن تكون الكلمة الثانية ذات معنى معروف، إلا أنها كالإتياع لما قبلها، والآخر: أن تكون الثانية غير واضحة المعنى ولا بنية الاشتقاق<sup>(٢)</sup>.

وقد عقد أبو على القالى للإتياع باباً هاماً فى أماليه، وجعله على ضربين: ضرب يكون فيه الثانى بمعنى الأول فيؤتى به تأكيداً؛ لأن لفظه مخالف للفظ الأول؛ وضرب فيه معنى الثانى غير معنى الأول<sup>(٣)</sup>.

ولن نتحدَّث عن الإتياع الذى تمَّ دون تغيير صرفى للكلمة التابعة للسابقة عليها، وإنما يهمنى الكلمة التى خالفت القاعدة أو القياس الصرفى من أجل أن تحقق المحاذاة مع الكلمة السابقة عليها<sup>(٤)</sup>.

ومن المحاذاة الصرفية التى تحققت عن طريق الإتياع بمخالفة القياس قول العرب: هو أسوانٌ أتوانٌ، فأسوان من قولهم: أسى الرجل يأسى: إذا حزن، وأسوان؛ أى حزين، وأتوان من قولهم: أتيتته، ومعنى قولهم: أسوان أتوان: حزين متردد يذهب ويجئ من شدة الحزن؛ وكان القياس يقتضى أن يُقال: أسوان أتيان؛ ولكن قلبت الياء واواً على لغة هذيل التى تقلب الواو ياءً؛ ودليلنا قول خالد بن زهير الهذلى:

(١) الصاحبى ٢٦٣، وانظر النص أيضاً فى: فقه اللغة وسر العربية ٤١٣.

(٢) الإتياع والمزاوجة ٢٨.

(٣) الأمالى، للقالى ٢٠٨/٢ - ٢١٨.

(٤) حول ظاهرة الإتياع انظر: الإتياع لأبى الطيب اللغوى، والإتياع والمزاوجة لأحمد بن فارس، والأمالى لأبى على القالى ٢٠٨/٢ - ٢١٨، المزهر للسيوطى ١/ ٣٤٠ وما بعدها.

يا قوم ما بال أبي ذؤيب كنت إذا أتوته من غيب

ويقول العرب: شيطانٌ ليطانٌ، وليطان مأخوذ من قولهم: لاط يلوط؛ أى لصق، ويقال: للولد فى القلب لوطه، أى حب لازق، ومعنى قولهم: شيطان ليطان؛ شيطان لصوق، وكان القياس يقتضى أن يقال: شيطان لوطان، ولكن قلبت الواو ياء لتحقيق المحاذاة بين الكلمتين.

ويقول العرب: عى شىء، وشىء أصله: شوى، ولكنه أُجْرِىَ على لفظ الأول ليكون مثله فى البناء.

ويقول العرب: خيىثٌ نبىثٌ، النىث هو الذى ينبث شره؛ أى يُظهره، وكان قياسه أن يقول: خيىث نابثٌ، فقيل: نبىث لمجاورته لخيىث.

ويقول العرب: قَدُمَ لَدُم، والقَدُم: العيى البليد، واللَّدُم، أصلها: اللَّطْم، بالطاء، وهو المملطوم، كما قالوا: ماء سكب؛ أى مسكوب، ودرهم ضرب أى مضروب، وقد أُبدلت الطاء دالاً لتشاكل الكلام وتحقيق المحاذاة.

ويقول العرب: حَسَنٌ بَسَنٌ، وبَسَنٌ أصلها: بَسٌ، وبَسَّ السويق بَساً إذا لته بسمن أو زيت ليكمل طيبه، وقد حُذفت إحدى السينين وزيدت فيه النون، وبُنَى على مثال: حَسَنٌ، ومعناه: حسن كامل الحسن، إذ مذهبهم فى الإبتاع أن تكون أواخر الكلم على لفظ واحد، مثل القوافى والسجع، ولتكون مثل: حَسَن.

ويقول العرب: حَسَنٌ قَسَنٌ، وقَسَنٌ أصلها: قَسٌ، والقَس: تتبع الشيء وطلبه، فكأنه حَسَنٌ مقسوس؛ أى متبوع مطلوب، ثم عُمِلَ بقَسَ ما عُمِلَ ببَسَ، فحذفت إحدى السينين وزادت فيه النون، وبُنَى على مثال: حَسَنٌ<sup>(١)</sup>.

(١) الأمالى للقالى ٢٠٨/٢ - ٢١٨.



ويُقال : «لَبَّيْكَ وسَعْدِيكَ» ، أى إسعاداً لك بعد إسعاد، وقد أُضيف إليها الياء والكاف لتحاذى: لَبَّيْكَ، وإذا أُفردت لا تأتى على هذه الصيغة، قال سيويه: كلام العرب على المساعدة والإسعاد، غير أن هذا الحرف جاء مُثنًى على سَعْدِيكَ ولا فِعْلٌ له على سَعْدٍ<sup>(١)</sup> . ويُقال : «اللهم سَمْعًا لا بَلْغًا» يُضرب هذا المثل فى الخبر لا يُعجب؛ أى نسمع به ولا يتم، وكلا الكلمتين جاء على غير قياس؛ فالسَّمْعُ مصدر وُضِعَ موضع المفعول؛ أى: مَسْمُوعٌ، والبَلْغُ مصدر كذلك وُضِعَ موضع الفاعل؛ أى: بالغ، ونُصبت الكلمتان على تقدير: اجعله؛ أى الخبر مسموعًا لا بالغًا، وروى المثل بالرفع كذلك : «سَمْعٌ لا بَلْغٌ» على حذف المبتدأ<sup>(٢)</sup> .

ويقولون: هَنِيءٌ مَرِيءٌ، وهو من قولهم: هَنَانِي الطعام ومرَانِي فإذا أفردوا لم يقولوا إلا أمرَانِي، ولم يقولوا: مرَانِي<sup>(٣)</sup> .

ويقال تفرَّقَت إبله شَذَرَ بِذَرٍ؛ أى تفرقت فى كل وجه، ويُقال: شَذَرَ بِذَرَ، بفتح الشين والباء، وفى حديث عائشة - رَضِيَ اللهُ عَنْهَا - أن عمر - رَضِيَ اللهُ عَنْهُ - شَرَّدَ الشَّرْكَ شَذَرَ مَذَرٍ - بفتح الشين والميم وكسرهما -، وأصلهما فى اللغة: الشَذَرُ، والبَذَرُ<sup>(٤)</sup> ، ولكن لما كُسرت الشين كُسرت معها الباء، ولما تحركت الذال فى الأولى تحركت فى الثانية.

ومن المحاذاة الصَّرْفِيَّة عن طريق الإتياع قوله عليه الصلاة والسلام «عَقَرَى حَلَقَى» أى عقرها الله، وأصابها بوجع فى حلقتها، قال الأزهرى: وأصله عَقَرًا حَلَقًا، وأصحاب الحديث يقولون: عَقَرَى حَلَقَى بوزن غضبى، حيث هو جارٍ

(١) ديوان الأدب ١/١٠٣ باب فَعْلٌ، اللسان ٣/٢٠١٢: سعد.

(٢) مجمع الأمثال للميدانى بتحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ١/٤٨٣ .

(٣) الأمالى ٢/٢٠٨ وما بعدها .

(٤) ديوان الأدب ١/٢٦٤: فَعْلٌ، اللسان ١/٢٣٧: بذَر، ٤/٢٢٢٠: شذر .

على المؤنث، والمعروف فى اللغة التنوين على أنه مصدر فعل متروك اللفظ تقديره: عقرها الله عَقْرًا وحَلَقَهَا الله حَلَقًا، وإنما جاء على فَعَلَى للمحاذاة<sup>(١)</sup>.

### القسم الثالث : المحاذاة النحوية

وهى على ثلاثة أنواع: محاذاة فى علامات الإعراب؛ الرفع، والنصب، والجر، على نحو: هذا جُحْرٌ ضَبٌّ خَرِبٍ، ومحاذاة عن طريق التقديم والتأخير، على نحو تقديم شبه الجملة على المفعول به فى قوله تعالى: ﴿ثُمَّ لَا تَجِدُوا لَكُمْ عَلَيْنَا بِهِ تَبِيعًا﴾ [الإسراء ٦٩] من أجل تحقيق المحاذاة ومراعاة الفاصلة القرآنية، ومحاذاة عن طريق الحذف، على نحو حذف المفعول به فى قوله تعالى: ﴿فَأَمَّا مَنْ أُعْطِيَ وَاتَّقَى﴾ [الليل ٥]، وقوله تعالى: ﴿مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَى﴾ [الضحى ٣].

#### أولاً: المحاذاة فى علامات الإعراب:

ونعنى بها أن الكلمة قد تُكسر أو تُفتح أو تُضم لا حَسَبَ موقعها الإعرابى من الكلام، وإنما يحدث ذلك تبعاً للكلمة التى قبلها، ليحدث بهما معاً المحاذاة أو الموازنة؛ وعقد لها الثعالبى فصلاً فى كتابه فقه اللغة وسر العربية؛ وسمّاه: فصل فى الحمل على اللفظ والمعنى للمجاورة، والعرب تفعل ذلك فتقول: هذا جُحْرٌ ضَبٌّ خَرِبٍ، والخرب نعت الجُحْرِ لا نعت الضب، ولكنَّ الجوار حُمِلَ عليه، كما قال امرؤ القيس:

كَأَنَّ ثَبِيرًا فى عرَائِنِ وَيْلِهِ      كَبِيرُ أَنَاسٍ فى بَجَادٍ مُزْمَلٍ

(١) تاريل مشكل القرآن ٢٧٦، اللسان ٤/ ٣٠٣٥ - ٣٠٣٦: عقر .

فالمزمل نعت للشيخ لا نعت للبيجاد، وحقه الرفع ولكن خفضه للجوار، ولما قال آخر:

يا لَيْتَ شيخك قد غدا متقلداً سيفاً ورُمحاً

والرُمح لا يُتقلد، وإنما قال ذلك لمجاورته السيف، وفي القرآن الكريم: ﴿فَأَجْمِعُوا أَمْرَكُمْ وَشُرَكَاءَكُمْ﴾، لا يُقال: أجمعتُ الشركاء، وإنما يُقال: جمعتُ شركائي وأجمعتُ أمري، وإنما قال ذلك للمجاورة.

وعامة العرب تقول: جاء البردُ والأُكْسِيَّةُ، بضم الأُكْسِيَّةِ على أنها معطوفة على البرد، أو بنصبها على أنها مفعول معه؛ والتقدير: جاء البرد مع الأُكْسِيَّةِ، والأُكْسِيَّةِ لا تحيى؛ ولكن للجوار حقٌّ في كلام العرب<sup>(١)</sup>.

ومن المحاذاة النحوية قول الأخطل:

جزى الله عني الأعورين ملامهً وفروة ثُفَرِ الثَّوَرِ المتضاجم

والمتضاجم من صفة الثُّفَرِ إلا أنه خفضه على الجوار كما قال امرؤ القيس: كبيرُ أناسٍ في بجادٍ مُزْمَلٍ<sup>(٢)</sup>.

ومن المحاذاة النحوية نقل حركة الإعراب إلى ما قبلها في الوقف؛ نحو هذا بَكْرٌ، ومررت ببَكْرٍ، وفي ذلك يقول ابن جنى: وأجازوا النقل لحركة الإعراب إلى ما قبلها في الوقف؛ نحو: هذا بَكْرٌ، ومررت ببَكْرٍ؛ ألا تراها لما جاورت اللام بكونها في العين، صارت لذلك كأنها في اللام لم تفارقها<sup>(٣)</sup>.

ومن مظاهر المحاذاة النحوية قول الخطيئة:

(١) فقه اللغة وسر العربية، للشعالبي، ٣٤٧ - ٣٤٨.

(٢) ديوان الأدب ١/١٠٦، باب فَعَلَ.

(٣) الخصائص، لابن جنى ٣/٢٢٣.

فإياكم وحيّة بطن واد هموزِ الناب ليس لكم بسى  
 فيمن جرّ : (هموز الناب)، وقول العجاج : كأنّ نسج العنكبوت المرملِ  
 وإنما صوابه المرملًا ، وأما قوله :  
 كبير أناس في بجاد مزمل

فقد يكون أيضًا على هذا النحو من الجوار<sup>(١)</sup> . ومن المحاذاة النحوية : ما  
 أنشده أبو زيد :

من أىّ يومىّ من الموت أفرّ      أيومَ لم يُقدَرَ أم يومَ قُدرِ  
 بفتح الراء فى : يُقدَر، أراد : أيومَ لم يُقدَرَ أم يومَ قُدرِ، ثم خفف همزة  
 «أم» فحذفها وألقى حركتها على راء (يقدر) فصار تقديره : أيومَ لم يُقدَرَمْ، ثم  
 أشبع فتحة الراء فصار تقديره : أيومَ لم يُقدَرَ أم، فحرّك الألف لالتقاء  
 الساكنين، فانقلبت همزة، فصار تقديره يُقدَرَ أم، واختار الفتحة إتباعًا لفتحة  
 الراء<sup>(٢)</sup> .

ومن المحاذاة النحوية : قول العرب : أشرق ثبير، كيما نغير<sup>(٣)</sup> ، أى ندفع  
 للنحر؛ فلما سكنت كلمة : ثبير، كان لابد من تسكين الفعل المضارع المنصوب :  
 نغير، لكى تحدث المحاذاة بين الكلمتين : ثبير، نُغير . ومن ذلك قوله تعالى :  
 ﴿وانقوا الله الذى تساءلون به والأرحام﴾ فقد قرأ حمزة «والأرحام» بكسر الميم  
 محاذاة للهاء فى «به»<sup>(٤)</sup> .

(١) الخصائص، لابن جنى ٢٢٤/٣، وانظر الكتاب ٤٣٦/١ - ٤٣٧ .

(٢) الخصائص، لابن جنى ٩٧/٣، ٢٢٤ .

(٣) ديوان الأدب ٤٠٤/١، فعيل، مجمع الامثال ٥٠٧/١ .

(٤) السبعة لابن مجاهد ٢٢٦ .

ومن ذلك قول الشاعر:

تَرَاهُ كَأَنَّ اللَّهَ يَجْدَعُ أَنْفَهُ      وَعَيْنِيهِ إِنَّ مَوْلَاهُ ثَابَ لَهُ وَفَرُّ<sup>(١)</sup>

فقد عطف «عينيه» على «أنفه» لتحقيق المحاذاة، والقياس: يجدع أنفه، ويفقأ عينيه، ومثل ذلك ما أنشده الفراء:

عَلَفْتُهَا تَبْنًا وَمَاءً بَارِدًا      حَتَّى شَتَّتْ هَمَالَةً عَيْنَاهَا<sup>(٢)</sup>

فقد حاذى بين كلمتى: تَبْنًا ومَاءً، وأصلها: علفتها تَبْنًا، وسقيتها ماءً، وقال آخر:

إِذَا مَا الْغَانِيَاتُ بَرَزْنَ يَوْمًا      وَزَجَّجْنَ الْحَوَاجِبَ وَالْعَيُونَا

حاذى بين: الحواجب والعيونا فى النصب، فالعيون لا تُزَجَّجُ، وإنما أراد: وزَجَّجْنَ الحواجِبَ، وكَحَلْنَ العيونَا<sup>(٣)</sup>.

وما إتباع صفة المنادى للمنادى فى الإعراب إلا صورة من صور المحاذاة النحوية؛ لأنه من باب جعل الاسم والصفة فيه بمنزلة اسم واحد؛ وفى هذا يقول سيبويه: هذا باب ما يكون الاسم والصفة فيه بمنزلة اسم واحد ينضم فيه قبل الحرف والمرفوع حرف وينكسر فيه قبل الحرف المجرور الذى ينضم قبل المرفوع، وينفتح فيه قبل المنصوب ذلك الحرف، وهو: ابنم، وامرؤ، ومثل ذلك قولك: يا زَيْدَ بْنَ عَمْرٍو، وقال الراجز: يا حَكَمَ بْنَ الْمُثَدِّرِ بْنِ الْجَارُودِ. وقال العجاج: يا عُمَرَ بْنَ مَعْمَرٍ لَا مُتَنَظَّرَ<sup>(٤)</sup>.

(١) تأويل مشكل القرآن ٢١٣، كتاب الصناعتين ١٣٦، اللسان: وفر.

(٢) تأويل مشكل القرآن ٢١٣، خزنة الأدب ٤٩٩/١.

(٣) تأويل مشكل القرآن ٢١٣، كتاب الصناعتين ١٣٦، اللسان: حجب.

(٤) الكتاب ٢٠٣/٢ - ٢٠٤، شرح النصل ٥/٢.

وقال ابن يعيش فى شرح المفصل : لما كثر إجراء (ابن) صفة على ما قبله من الأعلام إذا كان مضاعفاً إلى علم أو ما يجرى مجرى الأعلام من الكنى والألقاب ، فلما كان (ابن) لا ينفك من أن يكون مضاعفاً إلى أب وأم وكثر استعماله ، استجازوا فيه من التخفيف ما لم يستجيزوه مع غيره ، فحذفوا ألف الوصل من (ابن) لأنه لا ينوى فصله مما قبله إذ كانت الصفة والموصوف عندهم مضارعة للصلة والموصول من وجوه ، وحذفوا تنوين الموصوف أيضاً ، كأنهم جعلوا الاسمين اسماً واحداً لكثرة الاستعمال ، وأتبعوا حركة الاسم الأول حركة الاسم الثانى ، لأنك عقدت الصفة والموصوف وجعلتهما اسماً واحداً ، وصارت المعاملة مع الصفة والموصوف كالصدر له ، ولذلك لا يجوز السكوت على الأول<sup>(١)</sup> .

ومن المحاذاة النحوية قول الفرزدق :

وَلَكِنْ نِصْفًا لَوْ سَبَّيْتُ وَسَبَّيْتُ  
بَنُو عَبْدِ شَمْسٍ مِنْ مَنَافٍ وَهَاشِمٍ

فهاشم فى البيت معطوف على : بنو عبد شمس لا على مناف ، وإنما كُسر للجوار<sup>(٢)</sup> .

وما الإبدال فى قوله تعالى : ﴿اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ، صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ﴾ بنصب صراط على أنها بدل من الصراط ما هى إلا صورة من صور المحاذاة النحوية ؛ لأنه يجوز فيها الرفع على الابتداء ، ولكن المحاذاة جاءت أفضل ، ومثله قوله تعالى : ﴿لَنْسَفَعًا بِالنَّاصِيَةِ ، نَاصِيَةٍ كَاذِبَةٍ خَاطِئَةٍ﴾ بإتباع «ناصية» الثانية للأولى «الناصية» ، ومنهم من قرأ قوله تعالى : ﴿قد كان لكم آية فى فتنتين التقتا، فتةٍ تقاتل فى سبيل الله﴾ بجر كلمة «فتة» ، وهى قراءة

(١) شرح المفصل ٥/٢ ، الأشباه والنظائر ١٦/١ .

(٢) الكتاب ٧٧/١ ، ديوان الفرزدق ٨٤٤ .

مجاهد والحسن البصرى والزهرى وحמיד، والجر على وجهين: على الصفة، وعلى البدل<sup>(١)</sup>، ومن ذلك قول كثير عزة:

وَكُنْتُ كَذِي رَجُلَيْنِ: رَجُلٍ صَحِيحَةٍ      وَرَجُلٍ رَمَى فِيهَا الزَّمَانَ فَشَلَّتْ  
فحاذى بين كلمة: رجلين، وكلمتى: رَجُلٌ فى الجر، وكان يمكنه أن يرفع على الابتداء، ولكنه أثر المحاذاة<sup>(٢)</sup>.

ومما ورد مجروراً على الجوار فى القرآن الكريم قوله تعالى: ﴿عَالِيَهُمْ ثِيَابٌ سُنْدُسٌ خُضْرٌ وَإِسْتَبْرَقٌ﴾ [الإنسان ٢١]، فقد قرأ حمزة والكسائى وخلف العاشر بخفض: خُضْرٌ، وإسْتَبْرَقٌ على الجوار لكلمة: سندس، ومن توجيهات النحاة لجر كلمة: خضر على أنها نعت لسندس، وأما إسْتَبْرَقٌ فهى عطف نسق على سندس<sup>(٣)</sup>. ومن مظاهر المحاذاة النحوية فى علامات الإعراب صرف ما لا ينصرف، كما فى قوله تعالى: ﴿إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ سَلَاسِلَ وَأَغْلَالًا وَسَعِيرًا﴾ [الإنسان ٤]، فقد قرأ نافع والكسائى وأبو جعفر وهشام بالتنوين، وذلك للتناسب وتحقيق المحاذاة: سَلَاسِلًا، أَغْلَالًا، سَعِيرًا، وقوله تعالى: ﴿وَيُطَافُ عَلَيْهِمْ بِآنِيَةٍ مِّنْ فِضَّةٍ وَأَكْوَابٍ كَانَتْ قَوَارِيرَ، قَوَارِيرَ مِّنْ فِضَّةٍ﴾ [الإنسان ١٥، ١٦]، قرأ نافع وشعبة والكسائى وأبو جعفر بتنوينهما معاً: قواريرًا. قواريرًا وبذلك تحققت المحاذاة بينهما<sup>(٤)</sup>، ومن ذلك قراءة عاصم وغيره: ﴿وَجِئْتُكَ مِنْ سَبَإٍ بِنَبَأٍ يَقِينٍ﴾ [النمل ٢٢]، بتنوين كلمة: سَبَإٍ لتحاذى ما بعدها: نَبَأً<sup>(٥)</sup>، ومن ذلك قوله عليه الصلاة والسلام لبلال بن رباح: «أَنْفِقْ بِلَالًا، وَلَا

(٢) الكتاب ١/ ٤٣٣.

(١) البحر المحيط ٢/ ٣٩٣.

(٣) المستنير لمحمد سالم محيسن ٣/ ٢٩٦.

(٤) السبعة لابن مجاهد ٦٦٣ - ٦٦٤، المستنير ٣/ ٢٩٣.

(٥) كتاب السبعة لابن مجاهد ٤٨٠، الحجة فى القراءات السبع لابن خالويه ٢٧٠.

تخش من ذى العرش إقلالاً فقد صرف كلمة: بلالا لتحاذى كلمة: إقلال، كما استعملها على الأصل: مفعول به، وليس: منادى مبنى على الضم؛ لأنه علم؛ والأصل فى المنادى أنه فى محل نصب مفعول به<sup>(١)</sup>، من المحاذاة النحوية فى باب التوكيد قول الشاعر:

يا صَاحِ بَلِّغْ ذَوِي الزَّوْجَاتِ كُلَّهُمْ  
أَنْ لَيْسَ وَصَلٌ إِذَا انْحَلَّتْ عُرَى الذَّنْبِ

فقد جرَّ كلمة: كُلَّهُمْ، وكان القياس يقتضى النصب، لسببين: لأن الكلمة توكيد لذوى وليست توكيداً للزوجات، ولأنها لو كانت توكيداً للزوجات لقال: كلهنّ، وإنما الذى حمّله على الجر هو المحاذاة؛ أى لكى تحاذى كلمة: الزوجات فى الجر<sup>(٢)</sup>. وفى باب الجزم ذهب الكوفيون إلى أن جواب الشرط جُزِمَ لمجاورته المجزوم؛ وهو فعل الشرط؛ كما فى قوله تعالى: ﴿وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ يَلْقَ أَثَامًا يُضَاعَفْ لَهُ الْعَذَابُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾؛ فقد جُزِمَ: يفعل لاسم الشرط مَنْ، وجُزِمَ: يلقى لمجاورته: يفعل، وجُزِمَ الفعل: يضاعف على البدل لمجاورته الفعلين: يفعل، يلقى، وقد كان أبو على الفارسى ينشد فى مثل ذلك: «قد يؤخذ الجار بجرم الجار»<sup>(٣)</sup>.

ومن المحاذاة النحوية بسبب الجوار فى باب التأنيث قولهم: «الشمس طلعت» فإنه لا يجوز حذف تاء التأنيث؛ لأن الفعل جاور الضمير المستتر، وكذلك قولهم: قامت هند؛ لا يجوز حذف التاء، فلو فصلت بينهما جاز حذفها، وما كان ذلك إلا لأجل المجاورة<sup>(٤)</sup>.

(١) الأشباه والنظائر ١٥/١.

(٢) اللسان ٣/١٨٨٥: زوج، الأشباه والنظائر ١/١٧٨.

(٣) الأشباه والنظائر ١/١٧٨ - ١٨٠.

(٤) الأشباه والنظائر ١/١٨٠.



ومن الدليل على تحقيق المحاذاة مراعاة للقرب والمجاورة قولهم: خَشَنَتْ بَصْدَرُهُ وَصَدْرُ زَيْدٍ، فقد أجازوا فى المعطوف: صدر وجهين، الخفض والنصب، الخفض على أنه معطوف على المجرور بالباء: بصدرة، والنصب على أنه مفعول به للفعل خَشَنَ، ولكنهم اختاروا الخفض هنا؛ لأن الباء أقرب إلى الاسم المعطوف من الفعل؛ فكان الإعمال للثانى أولى للقرب والمجاورة؛ وفى ذلك يقول ابن يعيش: اختار البصريون فى باب التنازع إعمال الثانى لأنه أقرب إلى المعمول، فروعى فيه جانب القرب وحرمة المجاورة. ومما يدل على رعايتهم جانب القرب والمجاورة أنهم قالوا: هذا جُحْرٌ ضَبٌّ خَرِبٌ، وماءٌ شَنْ باردٌ، فأتبعوا الأوصاف إعراب ما قبلها وإن لم يكن المعنى عليها؛ لأن الضب لا يوصف بالخراب والشن لا يوصف بالبرودة، وإنما هما من وصف الحجر والماء<sup>(١)</sup>.

## ثانياً: المحاذاة النحوية عن طريق الحذف:

مثل حذف المفعول به فى قوله تعالى: ﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى وَاتَّقَى﴾ [الليل ٥]، فالفعلان أعطى، واتقى متعديان يحتاجان إلى مفعول به، ولكن حُذِفَ هذا المفعول لتحقيق المحاذاة بين الآيات السابقة عليها واللاحقة لها، وقوله تعالى: ﴿مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَى﴾ [الضحى ٣] فالفعل: قلا من الأفعال المتعدية، والقياس: وما قلاك. ولكن حُذِفَ المفعول به لتحقيق المحاذاة، وتنسيق الفاصلة. ومن ذلك حذف مُتَعَلِّق «أفعل التفضيل» نحو قوله تعالى: ﴿يَعْلَمُ السِّرَّ وَأَخْفَى﴾ [طه ٧]، والتقدير: وأخفى من السرِّ وقوله تعالى: ﴿وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَى﴾ [الاعلى ١٧]، والتقدير: خير وأبقى من الدنيا<sup>(٢)</sup>.

(١) الكتاب ٧٤/١، شرح المفصل ٧٩/١، الأشباه والنظائر ١٧٩/١.

(٢) الإتيان ٢٩٨/٣ - ٢٩٩.

ومن ذلك حذف الفاعل ونيابة المفعول، نحو قوله تعالى : ﴿وَمَا لِأَحَدٍ عِنْدَهُ مِنْ نِعْمَةٍ تُجْزَى﴾ [الليل ١٩]، فالفعل تُجْزَى استتر فيه المفعول ؛ الذى ناب عن الفاعل، والتقدير: يَجْزَى اللهُ النعمة<sup>(١)</sup>.

ثالثاً: التقديم والتأخير : تتحقق المحاذاة النحوية عن طريق تقديم المعمول على العامل، كما فى قوله تعالى : ﴿أَهْوَلَاءِ إِيَّاكُمْ كَانُوا يَعْبُدُونَ﴾ [سبا ٤٠]، والتقدير: كانوا يعبدون إياكم، وفى قوله تعالى : ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ [الفاتحة ٥]، والتقدير: نعبدك ونستعينك، وفى قوله تعالى : ﴿وَلَقَدْ جَاءَ آلَ فِرْعَوْنَ النُّذُرُ﴾ [القمر ٤١]، والتقدير: ولقد جاء النُّذُرُ آلَ فرعون، ومن ذلك تقديم خبر كان على اسمها، نحو : ﴿وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ﴾ [الإخلاص ٤]، والتقدير: ولم يكن أحدٌ كفواً له، ومنه تقديم ما هو متأخر فى الزمان، كما فى قوله تعالى : ﴿فَلِلَّهِ الْآخِرَةُ وَالْأُولَى﴾ [النجم ٢٥]، ولولا مراعاة الفواصل والمحاذاة لَقُدِّمَت كلمة «الأولى» كما فى قوله تعالى : ﴿لَهُ الْحَمْدُ فِي الْأُولَى وَالْآخِرَةِ﴾ [القصص ٧٠]، ومن ذلك تقديم الفاضل على الأفضل، كما فى قوله تعالى : ﴿آمَنَّا بِرَبِّ هَارُونَ وَمُوسَى﴾ [طه ٧٠]، ومن ذلك تقديم الضمير على ما يفسره، نحو قوله تعالى : ﴿فَأَوْجَسَ فِي نَفْسِهِ خِيفَةً مُوسَى﴾ [طه ٦٧]<sup>(٢)</sup>، ومن ذلك تقديم النعت الجملة على النعت المفرد؛ كما فى قوله تعالى : ﴿وَنُخْرِجُ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كِتَابًا يَلْقَاهُ مَنْشُورًا﴾ [الإسراء ١٣]، فكلمة: كتاباً نُعِتت أولاً بالجملة الفعلية: يلقاه، ثم نُعِتت بالمفرد: منشوراً مراعاة للفاصلة، وتحقيقاً للمحاذاة<sup>(٣)</sup>. ومن ذلك أيضاً تأخير الوصف غير الأبلغ عن الوصف الأبلغ، كما فى قوله تعالى : ﴿الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ﴾ وقوله تعالى : ﴿رَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾ [التوبة ١٢٨]؛ لأن الرأفة أبلغ من الرحمة<sup>(٤)</sup>. ومن ذلك تقديم شبه الجملة على

(٢) الإتيان ٣/ ٢٩٦.

(١) الإتيان ٣/ ٣٠١.

(٤) السابق ٣/ ٣٠١.

(٣) الإتيان ٣/ ٢٩٧.

المفعول به ؛ كما فى قوله تعالى : ﴿ثُمَّ لَا تَجِدُوا لَكُمْ عَلَيْنَا بِهِ تَبِيعًا﴾ [الإسراء ٦٩] ، فقد جمع بين المجرورات : لك ، به ، علينا ، لأن الفاصلة اقتضت تأخير المفعول به : تَبِيعًا<sup>(١)</sup> .

#### رابعاً: إتباع ضمير المذكر لضمير المؤنث :

من الوسائل النحوية التى تحققت بها المحاذاة إتباع ضمير المذكر لضمير المؤنث فى قوله عليه الصلاة والسلام : « اللهم رَبَّ السَّمَوَاتِ السَّبْعِ وَمَا أَظْلَلُنَّ ، وَرَبَّ الْأَرْضِينَ وَمَا أَقْلَلُنَّ ، وَرَبَّ الشَّيَاطِينِ وَمَا أَضْلَلُنَّ » والقياس يقتضى : وما أَضْلَلُوا بضمير الذكور ، لأن الشياطين من مذكر مَنْ يعقل ، وإنما أتت بنون النسوة إتباعاً لكلمتى : أَظْلَلُنَّ ، أَقْلَلُنَّ<sup>(٢)</sup> ، وكذا ما جاء فى حديث المواقيت : « أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ وَقَّتْ لِأَهْلِ الْمَدِينَةِ ذَا الْحُلَيْفَةِ لِأَهْلِ الشَّامِ الْجُحْفَةَ ، وَلِأَهْلِ نَجْدِ قَرْنِ الْمَنَازِلِ ، وَلِأَهْلِ الْيَمَنِ يَلْمَلَمَ هُنَّ لَهُنَّ وَلِمَنْ أَتَى عَلَيْهِنَ مِنْ غَيْرِهِنَّ مِمَّنْ أَرَادَ الْحَجَّ وَالْعَمْرَةَ » ، والقياس : هُنَّ لَهُمْ ؛ أى لِأَهْلِ ذِي الْحُلَيْفَةِ وما ذُكِرَ معها ، وإنما قيل لَهُنَّ إتباعاً لقوله : هُنَّ<sup>(٣)</sup> .

(١) الإقتان ٣٠١/٣ .

(٢) الأشباه والنظائر ١٥/١ .

(٣) صحيح البخارى حديث رقم ١٥٢٤ ، الأشباه والنظائر ١٥/١ .

## مصادر ومراجع الفصل الأول

- ١ - ابن أبى الإصبع المصرى : - بديع القرآن، تحقيق د. حفى محمد شرف، مكتبة نهضة مصر، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٩٥٧ .
- تحرير التحرير، تحقيق د. حفى محمد شرف، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، القاهرة، ١٩٩٥ .
- ٢ - ابن الجزرى : تقريب النشر فى القراءات العشر، تحقيق إبراهيم عطوة عوض، دار الحديث، القاهرة، الطبعة الثانية، ١٩٩٢ م .
- ٣ - ابن السكيت : إصلاح المنطق، تحقيق عبد السلام هارون وأحمد محمد شاكر، دار المعارف، القاهرة، ١٩٨٧ م .
- ٤ - ابن جنّى : - الخصائص، تحقيق محمد على النجار، الهيئة المصرية العامة للكتاب، الطبعة الثالثة، ١٩٨٦ م .
- المحتسب، تحقيق على النجدى ناصف وعبد الحليم النجار وعبد الفتاح شلبى، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، ١٩٩٤ م .
- المنصف، تحقيق محمود مصطفى وعبد الله أمين، مطبعة البابى الحلبي، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٩٥٤ م .
- ٥ - ابن خالويه : - الحجة فى القراءات السبع، تحقيق عبد العال سالم مكرم، دار الشروق، القاهرة، ١٩٨٧ م .
- إعراب ثلاثين سورة من القرآن الكريم، مكتبة المتنبي، القاهرة، د.ت .
- ٦ - ابن دريد : جمهرة اللغة، حيدر آباد، الهند، ١٣٤٥ هـ .
- ٧ - ابن سيده : - المخصص، دار الكتاب الإسلامى، القاهرة، د.ت .

- ٨ - ابن فارس : - الصحاحى فى فقه اللغة وسنن العرب فى كلامها، تحقيق عمر فاروق الطباع، مكتبة دار المعارف، بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٩٣ م.
- الإتياع والمزاوجة، تحقيق كمال مصطفى، مكتبة الخانجي، القاهرة، ١٩٥٨ م .
- ٩ - ابن قتيبة : - تأويل مشكل القرآن، تحقيق السيد أحمد صقر، دار التراث، القاهرة، الطبعة الثانية، ١٩٧٣ م.
- أدب الكاتب، تحقيق على فاعور، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٨٨ م .
- ١٠ - ابن مجاهد : - كتاب السبعة فى القراءات، تحقيق د. شوقي ضيف، دار المعارف، القاهرة، الطبعة الثانية، ١٤٠٠ هـ .
- ١١ - ابن مكى الصقلى : - تثقيف اللسان وتلقيح الجنان، تحقيق د. عبد العزيز مطر، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، القاهرة، ١٩٩٥ م.
- ١٢ - ابن منظور : - لسان العرب، طبعة دار المعارف، القاهرة، د.ت .
- ١٣ - ابن هشام الأنصارى : - مغنى اللبيب عن كتب الأعراب، تحقيق محمد محيى الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٩٩ م .
- ١٤ - ابن يعيش : - شرح المفصل، مكتبة المتنبي، القاهرة، د.ت .
- ١٥ - أبو البقاء الكفوى : - الكليات، تحقيق محمد المصرى وعدنان درويش، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الثانية، ١٩٩٣ م .
- ١٦ - أبو جعفر الرعينى : - تحفة الأقران فيما قرئ بالتثليث من القرآن، تحقيق على حسين البواب، دار المنارة، جدة، الطبعة الأولى، ١٩٨٧ م .

- ١٧ - أبو حيان الأندلسى : - البحر المحيط، تحقيق عادل أحمد عبد الموجود وعلى محمد معوض، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٩٣ م .
- ١٨ - أبو الطيب اللغزى: الإتياع، تحقيق عز الدين التنوخى، مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق، ١٩٦١ م .
- ١٩ - أبو على الفارسى : - الحجة فى علل القراءات السبع، تحقيق على النجدى ناصف وعبد الحليم النجار وعبد الفتاح شلبى، ومراجعة محمد على النجار، الهيئة المصرية للكتاب، ١٩٨٣ م .
- ٢٠ - أبو على القالى : - الأمالى، والذيل عليها، والتنبيه للبكرى، دار الجليل ودار الآفاق الجديدة، بيروت، الطبعة الثانية، ١٩٨٧ م .
- ٢١ - أبو هلال العسكري : - كتاب الصنائع، تحقيق على البجاوى ومحمد أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٩٥٢ م .
- ٢٢ - البخارى : - الجامع الصحيح، تحقيق طه عبد الرؤوف سعد، دار الحرم للتراث، القاهرة، ٢٠٠٠ م .
- ٢٣ - الثعالبى : - فقه اللغة وسر العربية، تحقيق سليمان سليم البواب، دار الحكمة، دمشق، الطبعة الثانية، ١٩٨٩ م .
- ٢٤ - الجوهري : - تاج اللغة وصحاح العربية، تحقيق أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين، بيروت، الطبعة الثالثة، ١٩٨٤ م .
- ٢٥ - الدمياطى البناء : - إتحاف فضلاء البشر فى القراءات الأربع عشر، وضع حواشيه الشيخ أنس مهرة، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٩٨ م .

- ٢٦ - رضى الدين الأستراباذى : - شرح شافية ابن الحاجب، مع شرح شواهده، تحقيق محمد نور الحسن ومحمد الزفزاف ومحمد محيى الدين عبد الحميد، دار الفكر العربى، بيروت، ١٩٧٥ م .
- ٢٧ - الزبيدى : - تاج العروس من جواهر القاموس، دار صادر مصورة عن المطبعة الخيرية، القاهرة، ١٣٠٧ هـ.
- ٢٨ - الزمخشري : - الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل فى وجوه التأويل، رتبه وضبطه وصححه مصطفى حسين أحمد، دار الريان للتراث؛ الطبعة الثالثة، ١٩٨٧ م .
- أساس البلاغة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، الطبعة الثالثة، ١٩٨٥ م.
- ٢٩ - سيبويه : - الكتاب. تحقيق عبد السلام هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، الطبعة الثالثة، ١٩٨٨ م .
- ٣٠ - السيوطى : - الأشباه والنظائر فى النحو، دار الكتب العلمية، بيروت، د.ت.
- المزهرة فى علوم اللغة وأنواعها، تحقيق محمد أحمد جاد المولى، ومحمد أبو الفضل إبراهيم وعلى البجاوى، دار التراث، القاهرة، الطبعة الثالثة، د.ت .
- الإتقان فى علوم القرآن، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار التراث، القاهرة، الطبعة الثالثة، ١٩٨٥ م .
- ٣١ - الشنقيطى : - الدرر اللوامع على همع الهوامع، وضع حواشيه محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٩٩ م .

- ٣٢ - عبد القادر البغدادى : - خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب، تحقيق عبد السلام هارون، المطبعة الأميرية، ١٢٩٩ هـ .
- ٣٣ - الفارابى . - ديوان الأدب، تحقيق أحمد مختار عمر، ومراجعة إبراهيم أنيس، مطبوعات مجمع اللغة العربية، القاهرة، ١٩٧٤ م .
- ٣٤ - الميدانى : - مجمع الأمثال، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، مطبعة السعادة، القاهرة، ١٩٥٩ م .



## الفصل الثاني

### الجمال المتوازية عند طه حسين

دراسة في « أحلام شهر زاد »



## الفصل الثانى

# الجمال المتوازية عند طه حسين

### دراسة فى « أحلام شهر زاد »

« إنما الكلام عبء أتخفف منه

بالإلقاء أو الإملاء » <sup>(١)</sup>

طه حسين

## تقديم :

من العبارات الدالة على الممارسة اللغوية عند طه حسين تلك الجملة التى تصدر هذا الفصل ، ولكل كلمة من هذه الجملة دلالة ؛ فكلمة : الكلام تدل على أن كل ما بين أيدينا من مؤلفات طه حسين هو فى حقيقته كلامه ، وليس كتابته ؛ فلقد كان يمارس الكلام لا الكتابة ؛ وكان الكلام هو وسيلته الفريدة للوصول إلى المتلقى . وأما كلمة : عبء فتدل على أن طه حسين لم يكن يتكلم لمجرد الكلام الذى يملأ به فراغ الصمت فحسب ، وإنما يتكلم عندما يملأ الفكر أقطار نفسه وجوانبها ، وعندئذ يصبح التخفف من هذا العبء ضرورة لا

---

(١) من حديث الشعر والنثر ص ٣ .

مفر منها ، ويصبح الكلام ضرباً من إفراغ الزائد عن طاقة النفس . وأما كلمتا : الإلقاء والإملاء فتدلان على أن الوسيلتين اللتين توسَّل بهما طه حسين للوصول إلى المتلقى هما : إلقاء الكلام فى شكل خطب ومحاضرات ، أو إملاؤه فى شكل كتب ومقالات وقصص وغيرها .

لم يكن الكلام عند طه حسين مجرد أداة يلجأ إليها لتوصيل معلومة ما أو فكرة ما ، وإنما هو كلام له خصوصيته التى تتطلب من متلقيه أن يتوقف عنده ، فهو إلى جانب هدفه التوصيلى له قيمته الجمالية التى تميزه عن غيره . وهناك حقيقة لغوية مفادها أن كل متكلم بلغة من اللغات تتكون لديه من تعلمه للغته ومن ممارسته لها عادات أو نظم عقلية خاصة فيما يتعلق بتأليف الجمل ، وإنه ليألف هذه العادات والنظم كما يألف نطق أصوات لغته ونماذج مقاطعها وكلماتها ، وتصدر عنه نماذج تأليف الكلمات فى جمل بطريقة لا شعورية<sup>(١)</sup> .

ولقد كان لطه حسين عادات كلامية تعودها ؛ كانت بمثابة الرصيد المختزن فى الذاكرة ، الذى يثول إليه عند ممارسته الكلام ، ولم يكن فى استعماله للغة يتعامل معها بوصفها مفردات مستقلة ، بقدر ما كان يتعامل معها بوصفها صيغاً وتراكيب استقرت فى عقله ، وصار من السهل عليه استحضارها متى شاء .

وهدف هذه الدراسة هو استجلاء خصوصية هامة من خصوصيات طه حسين الكلامية ؛ وهى « الجمل المتوازية » فى أهم رواية من رواياته<sup>(٢)</sup> تحقق فيها ما لا يقل عن تسعين بالمائة من هذه الخصوصية ؛ كما تهدف هذه الدراسة أيضاً إلى البحث عن جذور هذه الخصوصية فى التراث وبيان أى المنابع استقى

(١) علم اللغة ، مقدمة للقارئ العربى ، د. محمود السمران ، ص ٢٠٥ - ٢٠٦ .

(٢) صدرت رواية « أحلام شهرزاد » فى يناير عام ١٩٤٣ م عن دار المعارف ، ضمن سلسلة « اقرأ » . وكانت هذه الرواية هى العدد الأول الذى افتتحت به السلسلة إصداراتها .

منه طه حسين هذه الخصوصية ؛ وإظهار إلى أى مدى حققت الجمل المتوازية له ما كان يرجوه منها من خدمة الفكر والشعور ؛ وتوصيلهما إلى المتلقى فى أجلى صورة وأقصر وقت .

والمقصود بالجمل المتوازية فى هذا البحث هى الجمل التى يقوم الأديب بتقطيعها تقطيعاً متساوياً ، بحيث تتفق فى البناء النحوى اتفاقاً تاماً ، وسواء اتفقت هذه الجمل فى الدلالة أم لم تتفق فالمهم هو تطابقها التام فى البناء النحوى على نمط قول طه حسين : ولم تصعد من صدر آمنة زفرة

ولا انحدرت من عين آمنة عبرة <sup>(١)</sup> .

فهاتان الجملتان متوازيتان لاتفاقهما فى البناء النحوى المكون من :

نفى + فعل + جار ومجرور + مضاف إليه + فاعل .

وللجمل المتوازية تاريخها فى التراث العربى وإن لم يعطها النحاة واللغويون مكانتها اللائقة ؛ فنحن نجد فى القرآن الكريم فى نماذج عديدة نسوق منها الآتى :

- وأنه هو أضحك وأبكى .
- وأنه هو أمات وأحيا .
- ووجدك ضالاً فهدى .
- ووجدك عائلاً فأغنى .
- فأما اليتيم فلا تقهر .
- وأما السائل فلا تنهر .

---

(١) على هامش السيرة ٥٤/١ .

- والليل إذا يغشى .
- والنهار إذا تجلّى .
- فليضحكوا قليلاً .
- وليبكوا كثيراً .
- الذى خلق فسوّى .
- والذى قدرّ فهدى .

وإذا طالت الجملة فى النص القرآنى فإن السمة الغالبة عليها هو التوازى ؛  
كما فى قوله تعالى :

- فأما من أعطى واتقى ، وصدق بالحسنى ، فسنيسره لليسرى .
  - وأما من بخل واستغنى ، وكذب بالحسنى ، فسنيسره للعسرى .
- ولو ذهبنا نحصى التوازى بين الجمل فى القرآن الكريم لصعب حصره  
لكثرته كثرة تحتاج إلى دراسة خاصة .

ولم يقتصر الأمر على القرآن الكريم كتاب العربية الأول ، بل نلاحظ  
استمرار هذا النمط عند مؤلفين مثل الجاحظ وأبى حيان ؛ فمثلاً يقول الجاحظ  
فى البخلاء :

- وللضحك موضع وله مقدار .
- وللمزج موضع وله مقدار .
- وقد ضحك النبى ومزح .
- وضحك الصالحون ومزحوا .

ويقول فى كتاب الحيوان :

- ولكل ضرب من الحديث ضرب من اللفظ

ولكل نوع من المعانى نوع من الأسماء

- فالسخيف للسخيف

والخفيف للخفيف

والجزل للجزل

- والإفصاح فى موضع الإفصاح

والكناية فى موضع الكناية

والاسترسال فى موضع الاسترسال<sup>(١)</sup>

والتوازى بين الجمل عند الجاحظ سمة من سماته الأسلوبية ؛ وهى متناثرة فى كتبه بكثرة .

وهناك علم آخر من أعلام العربية اتضحت عنده هذه الظاهرة فى مؤلفاته وهو أبو حيان التوحيدى ؛ فهو يقول مثلاً :

- إننا نقول ما نقول عن وعى وحصر .

ونتطاول ما نتطاول عن قماء وقصر<sup>(٢)</sup> .

- فإن خبرت عن الاسم بالاصطلاح كان ضلالاً منك .

وإن خبرت عن المعنى بالمعقول كان وبالاً عليك<sup>(٣)</sup> .

- وإن كان بليغاً ، ويتبلد .

وإن كان متحفظاً ، ويغيب .

وإن كان حاضراً ، ويعجز .

(١) الحيوان ٣/ ٣٩ .

(٢) الإشارات الإلهية ، تحقيق وداد القاضى ، دار الثقافة ، بيروت ، ١٩٧٣ م ، ص ٥٧ - ٥٨ .

(٣) السابق ص ٧٠ .

وإن كان قادراً ، ويحار .

وإن كان ناظراً ، ويكلّ<sup>(١)</sup> .

- من رام الخبر عنه تاه

ومن حدث نفسه بالظفر شاه<sup>(٢)</sup> .

وجدير بالذكر أن هذه الظاهرة عرفت فى التراث البلاغى بما يسمّى فى الشعر حسن التقسيم ، وبما يسمّى فى النثر الازدواج ، فإن حدث التوازي بين الجمل على مستوى الشعر سُمّي ذلك حسن تقسيم ؛ كما فى قول شوقي :

الدين يسر ؛ والخلافة بيعة والأمر شورى والحقوق قضاء

أما إن حدث هذا التوازي بين الجمل على مستوى النثر سُمّي ذلك ازدواجاً ؛ كما فى قول قس بن ساعدة الإيادى :

- ليل داج ، ونهار ساج .

- إن فى السماء لخبراً ، وإن فى الأرض لعبراً .

وهناك من اصطلاح لهذا التوازي مصطلحاً هو المماثلة ، ومثّل له بقوله تعالى : وآتيناهما الكتاب المستبين ، وهديناهما الصراط المستقيم .

ومثّل له بقول البحترى يمدح الفتح بن خاقان فى مبارزته للأسد .

فأحجم لما لم يجد فيك مطمعا وأقدم لما لم يجد عنك مهرباً<sup>(٣)</sup>

أما فى مستويات العربية الفصحى فى العصر الحديث فيتضح تفاوت استخدام الجمل المتوازية ؛ ولكن هذا البحث يقتصر على تناولها فى عمل

(١) الإشارات الإلهية ، ص ٢٨٤ .

(٢) السابق ٧٥ .

(٣) علوم البلاغة ، أحمد مصطفى المراغى ، ص ٣٦٤ .



واحد من أعمال طه حسين ؛ وهو رواية : أحلام شهر زاد ؛ يقوم برصد هذه الظاهرة ويبين أسبابها ويستخلص نتائجها ؛ ثم يقوم باستخراج الجمل المتوازية من هذه الرواية ، يصنفها فى عدة أنماط نحوية ، ويبين أكثر هذه الأنماط شيوعاً فى الرواية ؛ ثم يوضح العلاقة بين الجمل المتوازية وكل من : البناء النحوى ، والدلالة ، والإطناب ، والتضاد الدلالى والتجنيس ، وأدوات الربط ؛ وأعنى بأدوات الربط حروف العطف ؛ وحروف الجر . ثم يرصد البحث فى النهاية أهم النتائج التى توصل إليها .

### أولاً: أنماط الجمل المتوازية :

يمكننا أن نقسم الجمل المتوازية التى وردت فى « أحلام شهر زاد » إلى عدة أنماط نحوية ، ومن خلالها نجرى الدراسة ؛ وهذه الأنماط هى :

- ١ - أنماط الجمل الفعلية المثبتة .
- ٢ - أنماط الجمل الفعلية المنفية .
- ٣ - أنماط الجمل الاسمية المثبتة .
- ٤ - أنماط الجمل المنسوخة .
- ٥ - أنماط الجمل الشرطية والاستفهامية والتعجبية .
- ٦ - أنماط أجزاء الجمل .

### ١ - أنماط الجمل الفعلية المثبتة :

جاءت الجمل الفعلية المثبتة والمتوازية عند طه حسين فى قصته هذه فى تسعة أنماط هى :

## أ - النمط الأول : فعل + فاعل :

- ثم يجمد كل شىء

{ أحلام شهر زاد ١٠٧ } ويخمد كل شىء

- انعقد لسان شهريار

{ أحلام شهر زاد ١٠١ } وانعقد لسان شهر زاد

- تهبط ثم تهبط

{ أحلام شهر زاد ٩٦ } وتضيق ثم تضيق

- فانعقدت الألسنة

{ أحلام شهر زاد ٣٥ } وانحنت الرؤوس

- ينظرون وكأنهم لا يرون

{ أحلام شهر زاد ٩٣ } ويصغون وكأنهم لا يسمعون

ومن الملاحظ على هذا النمط أنه قليل الاستعمال عند طه حسين بالقياس إلى غيره من الأنماط الأخرى ، لأنه أقل الجمل البسيطة تركيباً ؛ وأقلها أداء للمعنى ، ولذا نجده غالباً ما يستعمل هذا النمط معطوفاً عليه بجمله أخرى ، تكون أقدر فى التعبير عما يريد ؛ أو يستعمل بعد الفاعل تمييزاً ملحوظاً .

- لقد انعقد لسان شهريار ، لأنه أحس وعجز عن تصوير حسه

وانعقد لسان شهرزاد ، لأنها شعرت وعجزت عن تصوير شعورها

{ أحلام شهر زاد ١٠١ }

- وامتلاً قلبه سكينه

{ أحلام شهر زاد ١٣ }

وانست نفسه أمنا ودعة

ب - النمط الثانى : فعل + فاعل + شبه جملة

- تصل إلى نفوس الرقود أحياناً

كما تصل إلى نفوس الأيقاظ أحياناً أخرى

{ أحلام شهر زاد ١١ }

- قد زهدت فى ملوك الجن جميعاً

واستياست من حياة الجن جميعاً

{ أحلام شهر زاد ١٧ }

- قد غيرت من رأيها

وعدلت عن سيرتها الأولى

{ أحلام شهر زاد ٣٥ }

- تبدأ فى موعد موقوت

وتنتهى عند أجل محدود

{ أحلام شهر زاد ٤٠ }

- قد وصلت إلى دخيلة نفسه

ووقفت على جلية أمره

{ أحلام شهر زاد ٥٤ }

- يستعدون لكل حادثة

ويتأهبون لكل كارثة

{ أحلام شهر زاد ٩٠ }

- يتسع من ضيق

وينفجر من تقارب

{ أحلام شهر زاد ١٠٦ }

- شقى فيه وسعد

ونعم فيه وابتأس

{ أحلام شهر زاد ١٣٢ }<sup>(١)</sup>

ونلاحظ على هذا النمط من الجمل المتوازية أن الفاعل فيها غالباً ضمير مستتر ؛ كما نلاحظ أن شبه الجملة الذى يأتى بعد الفاعل يغلب عليه أن يكون حرف جر واسماً مجروراً بهذا الحرف ، كما يغلب أن يكون بعد شبه الجملة بعض المكملات الأخرى التى يتمم بها طه حسين المعنى ، فنجد أنه يتمم فى المثال الأول بالظرف : أحياناً ، وفى المثال الثانى بالتوكيد : جميعاً ، وفى المثالين الثالث والرابع يتمم بالنعت : الأولى ، موقوت ، محدود ، وقد يتمم بمضاف إليه كما فى المثالين : الخامس والسادس ، وقد يعطف على هذه الجملة بجملة أخرى تتوازى مع ما بعدها فى البناء النحوى كما فى المثال الأخير .

وهناك ملاحظة هامة على هذا النمط وهى أنه يستعمل كاف التشبيه المتصلة « بما » الموصولة ثم ينسق جملة الصلة أيضاً تنسيقاً متوازيًا ؛ كما فى قوله :

(١) انظر بقية هذا النمط فى الصفحات الآتية ٣٢ ، ٦٥ ، ٩٤ ، ٩٦ ، ٩٩ ، ١١٩ ، ١٢٧ ، ١٣٦ .

- يشعرون كما نشعر

ويحسون كما نحسّ

{ أحلام شهر زاد ٦٥ }

- فيأشر عدوك كما أشرت

ويبطر خصمك كما بطرت

{ أحلام شهر زاد ١٣٦ }

- لتستمتع باليقظة كما استمتعت بالنوم

ولتنعم بالشعور كما نعمت باللاشعور

{ أحلام شهر زاد ٩٩ }

وهذا النمط يكثر إلى حد ما عند طه حسين ، لأن مجيء شبه الجملة بعد الفعل والفاعل يتيح له التنويع فيها والعطف عليها ؛ وهذا من شأنه أن يحقق له التوازن الموسيقي إلى جانب وضوح المعنى .

ج - النمط الثالث : فعل + فاعل + مفعول به

- فمدَّ بصره

ومدَّ سمعه

{ أحلام شهر زاد ١٤ }

- قد قرأت كتب الأولين

وعرفت حكمة المحدثين

{ أحلام شهر زاد ١٦ }

- يحبون الخير

ويكرهون الشر

{ أحلام شهر زاد ٦٥ }

وهذا النمط قليل الوجود عند طه حسين ، ربما لأنه يرى فيه غمطاً تقليدياً وضعه النحاة لبناء الجملة الفعلية ؛ ولا يعبر عن فكره وشعوره ؛ وخاصة إذا كانت الفكرة كلية والمعنى ممتداً .

د - النمط الرابع : فعل + فاعل + مفعول به + شبه جملة

- يمد يده عن يمين

ويمد يده عن شمال

{ أحلام شهر زاد ١١ }

- وضمَّ يديه إلى صدره

ودعا النوم إلى نفسه

{ أحلام شهر زاد ١٢ }

- ومد بصره فى الظلمة المتكاثفة

ومد سمعه فى الصمت المنعقد

{ أحلام شهر زاد ١٢ }

- فملاً صدره من نسيم الليل

وملاً عينيه من ظلمة الليل

{ أحلام شهر زاد ٣٩ }

- ستعرض شبابهم للموت

وستعرض أطفالهم لليتيم

وستعرض أموالهم للفناء

وستعرض شيوخهم للبؤس والشكل

وستعرض نساءهم للتأيم والشقاء

{ أحلام شهر زاد ٥٨ }

- تأتى ما تأتى من الأمر

وتحدث ما تحدث من الهول

{ أحلام شهر زاد ٩٥ }

- فقد أحس نفسه ثقيلة عليه لا يستطيع تحريكها إلى التفكير

وأحس جسمه ثقيلًا عليه لا يستطيع دفعه إلى النشاط

{ أحلام شهر زاد ٩٨ }

ومن الملاحظ أن هذا النمط يأتى عند طه حسين بكثرة ؛ بل هو أكثر الأنماط النحوية استعمالاً عنده لأنه يتيح له تحقيق الإيقاع الموسيقى فى يسر وسهولة ؛ كما أن شبه الجملة بعد المفعول به يتيح له أن ينوع فيها بما يحقق له التوازى بين الجمل ؛ فقد يكمل بعد المفعول به بجار ومجرور - كما فى النماذج السابقة - كما قد يكمل بحال أو بنعت كما فى قوله :

قضى بقية ليله سائرًا حائرًا

وكان خليقًا أن يقضيها هادئًا راضيًا

{ أحلام شهر زاد ٣٩ }

وقد يكمل بنعت كما فى قوله : يتبع هواه الجامح  
ويركب شهوته المندفعة

{ أحلام شهر زاد ٦٠ }

وقد يكمل بجملة صلة كما فى قوله :

- فاذرف ما تستطيع أن تذرف من دموع
- واحمل ما تستطيع أن تحمل من حزن
- واعمل ما تستطيع أن تعمل من خير
- وتجرع ما تستطيع أن تتجرع من ندم

{ أحلام شهر زاد ١١٠ }

وقد يكمل بجملة معطوفة كما فى قوله :

- ندعوها فتجيب
- ونأمرها فتطيع

{ أحلام شهر زاد ٦٤ }

وقد يكمل بظرف يتبعه جملة كما فى قوله :

- فعرف الحب حين يبلغ أشد أطواره عنفا
- وعرف الحب حين يبلغ أعظم أطواره رقة ولينا ولطفًا

{ أحلام شهر زاد ١٢٩ }

وقد لا يكتفى بمكمل واحد بل يتعداه إلى أكثر من مكمل حتى يتحقق له  
التوازن الموسيقى الذى ينشده بين الجمل ، كما فى قوله :



- فملاً صدره من نسيم الليل بما يحمل من عطر رطب لذيذ

وملاً عينيه من ظلمة الليل بما يضطرب فيها من ضوء ضئيل نحيل

{ أحلام شهر زاد ٣٩ }

قد يلجأ طه حسين إلى استعمال الجملة المركبة فتطول منه عند ذلك يحرص أشد الحرص على إحداث التوازن الموسيقى ، لأنه يشعر أن طول الجملة يجعلها تفقد معناها لدى المتلقى ، ولا سبيل إلى استحضار معناها إلا بهذا الإيقاع الموسيقى ؛ الذى يحقق - إلى جانب الجرس الجميل - وضوح المعنى وظهوره .

هـ - النمط الخامس : فعل + فاعل + مفعول به أول + مفعول به ثان

- وقاسمتك ما أتيتك لك من نعيم

وشاطرتك ما قُضى عليك من بؤس

{ أحلام شهر زاد ١١ }

- يرونه قصيراً

وأراه طويلاً

{ أحلام شهر زاد ٣١ }

نلاحظ فى النموذج الثانى أن طه حسين متأثر فيه بالقرآن الكريم ؛ فقد استقى المعنى من قوله تعالى : ﴿إنهم يرون بعيداً ونراه قريباً﴾ ثم أحدث التوازن بين الجملتين على نسق القرآن الكريم .

وهذا النمط من الأنماط التى استعملها بقله ، لأن الأفعال المتعدية لمفعولين فى العربية قليلة ، كما أنها تفرض عليه نسقاً قد يجد فيه قيوداً ، أو لأن الجملة

تطول وتتداخل ، وهذا يحتاج منه إلى أن يجهد نفسه فى إحداث الإيقاع الموسيقى والتوازن .

#### و - النمط السادس : شبه جملة + فعل + فاعل

- ومن هذا الباب قد دخلت الوصائف آنفا

ومن هذه الجدران قد نبعت أنغام الموسيقى

{ أحلام شهر زاد ٨٢ }

فى هذا النمط لم يراع طه حسين الرتبة التى وضعها النحاة ؛ فشبه الجملة عنده تقدّم على الفعل والفاعل ، وكان حقه أن يتأخر عنهما ؛ ورغم خروج هذا النمط على مألوف النحاة فإن طه حسين لم يستعمل منه فى « أحلام شهر زاد » إلا هذا النموذج .

#### ز - النمط السابع : فعل + شبه جملة + فاعل + مفعول به

- تندى له الجباه

ويتصبب له العرق

{ أحلام شهر زاد ١٠٧ }

- وقد ثاب إليه حزمه وعزمه

وعاد إليه حده وجده

{ أحلام شهر زاد ٨٧ }

- يختلط فيه هذا كله  
ويشتبه فيه هذا كله

{ أحلام شهر زاد ١٢٩ }

- قد ثاب إليه الأمن  
وعادت إليها الطمأنينة

{ أحلام شهر زاد ١١٩ }

- وقد جاشت فى نفسه عواطفه الثائرة  
واضطربت فى رأسه خواطره الحمراء

{ أحلام شهر زاد ٣٨ }

- فثاب إلى قلبه المذعور شىء من أمن  
وثاب إلى نفسه اليائسة شىء من رجاء

{ أحلام شهر زاد ٤١ }

ومن الملاحظ أن طه حسين استعمل هذا النمط كثيراً ، وتقديمه هنا شبه الجملة على الفاعل مخالف أيضاً لما قرره النحاة ، ولكنه بتقديمه شبه الجملة تتاح له الفرصة ليحدث التوازن المعتاد بين الجمل ؛ فالفاعل الذى جاء به فى نهاية الجملة قد يعطف عليه - كما فى المثال الثانى - ، وقد يؤكد - كما فى المثال الثالث ، وقد يصفه - كما فى المثال الخامس - ، وقد يأتى به نكرة ويتبعه بجار ومجرور لتزداد مساحة الجملتين المتوازيتين - كما فى المثال الأخير .

### ح - النمط الثامن : فعل + فاعل + شبه جملة + مفعول به

- يثير فى نفسك القلق  
ويبعث فى قلبك الخوف

{ أحلام شهر زاد ٣٠ }

- اقترفت من الإثم مثل ما اقترفوا  
واجترحت من الذنب مثل ما اجترحوا

{ أحلام شهر زاد ١٤٠ }

- أصف لك ما لا يوصف  
وأصور لك ما لا سبيل إلى تصويره

{ أحلام شهر زاد ١٠١ }

- فتبعث من أفواهاها أصواتًا قصيرة حلوة  
وتبعث فى أجنتها خفقات يسيره . . . . .

{ أحلام شهر زاد ١٣ }

- وقد قدرت له أحلام صاحبه تقديرًا  
وقطرت له أحاديثها تقطيرا

{ أحلام شهر زاد ٤٠ }

ونلاحظ أن هذا النمط استعمله طه حسين كثيرًا ، لأنه وجد فيه بغيته لتحقيق التوازن الموسيقى المنشود ، كما أن بناء الجملة فيه بناء غير مألوف يلفت انتباه المتلقى ، وهذا ما كان يحرص عليه طه حسين أشد الحرص ، لأنه لا يملك أن يشير للمتلقى بيده أو يهز رأسه أو يأتى من الحركات التى تساعد على توصيل الفكرة لدى المتلقى ؛ فهو لا يملك إلا رنين الكلمة ووقعها فى النفس .

ط - النمط التاسع : فعل + مفعول به + فاعل + شبه جملة

- قد صرفته الحياة عن الأحياء  
وصرفته الطبيعة عن الناس والأشياء

{ أحلام شهر زاد ٤٣ }

- تصرفه فى فنون الهزل والجد  
وتنقله فى أطوار المرح والهدوء

{ أحلام شهر زاد ٥٥ }

- يسها جناح من لين  
أو يصيها عارض من شدة

{ أحلام شهر زاد ٥٨ }

- فضمته فى رشاقة  
وقبلته فى عنف

{ أحلام شهر زاد ٦٧ }

- تخفيه صروف الحياة وخطوبها  
وتظهره محن الحياة وتجاربها

{ أحلام شهر زاد ١١٢ }

خذها بحقها  
وابلغها من طريقها

{ أحلام شهر زاد ٧٦ }

- دون أن يصيب المدينة منها شر  
أو ينال أهل المدينة منها مكروه

{ أحلام شهر زاد ٩٤ }

- لقد أنزلك إلى حيث أنا  
أو رفعننى إلى حيث أنت

{ أحلام شهر زاد ١٠٢ }

ونلاحظ أن طه حسين استعمل هذا النمط بكثرة ، لسببين هما : أنه نمط غير تقليدى فيه مخالفة لما قرره النحاة ؛ وهذا يلفت الانتباه ويثير الذهن ، كما أنه ينتهى « بالفاعل » الذى يتيح لطه حسين أن يأتى بمكملات بعده تحقق له التوازي بين الجمل ، كأن يأتى بجار ومجرور كما فى السابق ، وقد يأتى بظرف بعده جملة ليوسع من حيز التوازي بين الجملتين ، كما فى قوله :

- إنا ندفعها إلى الموت حين نحارب

وندفعها إلى البؤس والشقاء حين نسالم

{ أحلام شهر زاد ٦٣ }

وقد يعدد من المكملات بحيث يمكن أن نرى فى الجملة الواحدة ثلاثة أحرف للجبر ؛ كما فى قوله :

- سحرته عن نفسه وعما حوله بسيرتها

كما كانت تسحره عن نفسه وعما حوله بقصصها

{ أحلام شهر زاد ٧١ }

## ٢ - أنماط الجمل الفعلية المنفية :

وردت الجمل الفعلية المنفية والمتوازية عند طه حسين فى روايته « أحلام شهر زاد » فى سبعة أنماط نحوية ؛ هى :

أ - النمط الاول : نفى + فعل + فاعل + شبه جملة

- فلا يقع بصره على شىء

ولا ينتهى سمعه إلى شىء

ولا تصل نفسه إلى شىء

{ أحلام شهر زاد ١١ }

- لا يَلْوِي على شيء

ولا يفكر في شيء

ولا يقف عند شيء

{ أحلام شهر زاد ٤٢ }

- لا ينعمون حين ننعيم

ولا يبتسون حين نبتس

{ أحلام شهر زاد ٦٠ }

ونلاحظ أن طه حسين لم يستعمل هذا النمط بكثرة ؛ ولم يرد منه في أحلام شهر زاد سوى هذه النماذج الثلاثة .

ب - النمط الثاني : نفى + فعل + فاعل + مفعول به

- لم ير شيئاً

ولم يسمع شيئاً

ولم ينكر شيئاً

{ أحلام شهر زاد ١٢ }

- لا يقول شيئاً

ولا يأتي حركة

{ أحلام شهر زاد ٥٦ }

- لا تصيب أحداً بما يحب

ولا تصيب أحداً بما يكره

{ أحلام شهر زاد ٩٥ }

- فلن تغسل قطرة من تلك الدماء التى سفكتها
- ولن تُرضى نفساً من هذه النفوس التى أزهقتها
- ولن تمحو سيئة من هذه السيئات التى اقترفتها

{ أحلام شهر زاد ١١٠ }

- لا يشبه النهار كما عرفه
- ولا يشبه الليل كما ألفه

{ أحلام شهر زاد ١٢٨ }

ومن الملاحظ أن هذا النمط كثير إلى حد ما عند طه حسين وهو يتأرجح بين القصد والطول ، وفى الحالتين التوازي واضح فيهما ؛ والبناء النحوى بين كل جملتين أو ثلاث محدد .

جـ - النمط الثالث : نفى + فعل + فاعل + مفعول به + استثناء + جملة فعلية

- لا يرى شيئاً إلا اجتهد فى أن يعرف مصدره وغايته
- ولا يسمح شيئاً إلا جد فى أن يفهم ظاهره وتأويله

{ أحلام شهر زاد ٣٦ }

- لا تدنيه إلا لتقصيه
- ولا تلتطف به إلا لتعنف عليه

{ أحلام شهر زاد ٥٤ }

ونلاحظ أنه لم يرد من هذا النمط فى الرواية سوى هذين النموذجين ؛



ويبدو أن طه حسين وجد فى أساليب القصر الأخرى بغيته ؛ ولذا فلم يكثر من استعماله .

د - النمط الرابع : نفى + فعل + فاعل + مفعول به أول + مفعول به ثانٍ

- لم تمنح واحداً منهم ابتساماً

ولم تهد إلى واحد منهم نظرة

{ أحلام شهر زاد ١٧ }

هذا النمط أكد حرص طه حسين على سلامة اللغة أكثر من حرصه على تحقيق التوازى بين الجمل ، فقد كان بإمكانه أن يجعل الجملة الثانية : ولم تهد واحداً منهم نظرة ، ليحقق بها التوازى التام مع الجملة الأولى ، ولكنه هنا آثر سلامة البناء النحوى ؛ فالفعل أهدى لا يتعدى بنفسه إلى مفعولين كالفعل «منح» فى الجملة الأولى .

ولم يرد من هذا النمط عنده سوى هذا النموذج .

هـ - النمط الخامس : نفى + فعل + فاعل + جار ومجرور + مفعول به .

- فلن أعصى لك أمراً

ولن أرد عليك قولاً

{ أحلام شهر زاد ٣٠ }

- لم تقص عليه شيئاً

ولم تتحدث إليه بشيء

{ أحلام شهر زاد ١٢٥ }

- فلم ينكر فى الغرفة شيئاً

ولم ير فيها شيئاً خليقاً بالالتفات

{ أحلام شهر زاد ٧٥ }

- لا أحب منهم أحداً

ولا أبغض منهم أحداً

ولن أتزوج منهم أحداً

{ أحلام شهر زاد ٦٢ }

ونلاحظ على هذا النمط ما يأتى : المثال الأول تأثر فيه طه حسين بالقرآن الكريم ؛ فى قوله تعالى : ﴿ ستجدنى إن شاء الله صابراً ولا أعصى لك أمراً ﴾ ، والمثال الثانى أكد براعة طه حسين فى استعمال الأفعال اللازمة والمتعدية ؛ ومعرفة الفعل المتعدى بنفسه ، والمتعدى بحرف الجر ، والمثال الثالث أكد تخلص طه حسين عن التوازى التام بين الجمل ؛ متذكراً أنه لا يقول شعراً يقتضى حسن التقسيم ؛ ولا يقول نثراً يقتضى المماثلة بين الجمل ؛ وإنما هو كلام مسترسل لا يستلزم التوازى التام ؛ ولذا زادت الجملة الثانية كلمتين عن الأولى : خليقاً بالالتفات .

و - النمط السادس : نفى + فعل + مفعول به + ظرف + فاعل +  
جار ومجرور

- لم يعرفه قبل اليوم أحد من الجن

ولم يعرفه قبل اليوم أحد من الناس

{ أحلام شهر زاد ٩٨ }

لم يرد من هذا النمط سوى هذا النموذج ، الأمر الذى يؤكد أن طه حسين لم يستعمله كثيراً .

ر - النمط السابع : نفى + فعل مبنى للمجهول + نائب فاعل + جار ومجرور

- لا تُحسب بالساعات والأيام

ولا تُحسب بالشهور والأعوام

{ أحلام شهر زاد ١٨ }

لم يستعمل طه حسين من هذا النمط سوى هذا النموذج ، ونلاحظ على هذا النموذج أن فيه نوعين من الجرس الموسيقى : التوازي بين الجملتين ؛ إلى جانب السجع كما فى : الأيام ، والأعوام .

وقد يتقدم شبه الجملة ( الجار والمجرور ) على نائب الفاعل وتصير الجملة فى هذه الحالة مكونة من : نفى + فعل مبنى للمجهول + جار ومجرور + نائب فاعل ، مثل هذا النموذج :

- لا يُنقع له غُلَّة

ولا يُشفى له صدَى

{ أحلام شهر زاد ٣٩ }

والغريب أن النمط التقليدى الذى وضعه النحاة ؛ وهو : نفى + فعل + فاعل + مفعول به + شبه جملة ، لم يستعمله طه حسين مطلقاً فى روايته ، وإنما شبه الجملة عنده يتقدم نائب الفاعل ، أو المفعول به .

### ٣ - أنماط الجمل الاسمية المثبتة :

وردت الجمل الاسمية المثبتة والمتوازية عند طه حسين فى روايته فى سبعة أنماط نحوية هى :

١ - النمط الاول : مبتدأ + خبر ( مفرد ) + شبه جملة أو نعت :

- فالحرب محتملة دائماً

والشر متوقع أبداً

{ أحلام شهر زاد ١١٧ }

- كل شىء هامد خامد

وكل شىء جامد راكد

{ أحلام شهر زاد ١٠٧ }

- هذا أكثر مما كنت أرجو

هذا أكثر مما كانت أنتظر

هذا أكثر مما كنت أظن

{ أحلام شهر زاد ١١٤ - ١١٥ }

- فكلهم بعيد من صاحبه إلى أقصى غايات البعد

وكلهم قريب من صاحبه إلى أدنى آماذ القرب

{ أحلام شهر زاد ٨٥ }

- أنت مشوق إلى أن تسمع منها وإلا قتلتها

وهى مشوقة إلى أن تتحدث إليك وإلا قتلتك

{ أحلام شهر زاد ٤٨ }

- أنت ضيق بغموض شهر زاد لا تستطيع له احتمالاً  
هى أيضاً ضيقة بوضوحك لا تستطيع له استقبالا  
{ أحلام شهر زاد ٢٦ }
- أنت مشوق إلى قصص شهر زاد لا تستطيع عنه صبراً  
هى مشوقة إلى هذا القصص لا تستطيع عنه إعراضاً  
{ أحلام شهر زاد ٢٦ }
- أنا أمك حين تحتاج إلى حنان الأم  
وأنا أختك حين تحتاج إلى مودة الأخت  
وأنا ابنتك حين تحتاج إلى بر البنت  
وأنا زوجك حين تحتاج إلى عطف الزوجة  
وأنا خليلتك حين تحتاج إلى مرح الخليفة  
{ أحلام شهر زاد ٤٨ }

ونلاحظ أن طه حسين لم يبن هذا النمط من مبتدأ وخبر فحسب وإنما أضاف للخبر مكملات يتم بها المعنى ويتحقق بها التوازن الموسيقى ؛ وهذا النمط ورد عنده كثيراً .

#### ب - النمط الثانى : مبتدأ + خبر { جملة فعلية }

- هذا يقدم إليه أقاليم البحر  
وهذا يقدم إليه أقاليم البر  
وهذا يقدم إليه أقاليم الجو

{ أحلام شهر زاد ١٧ }

- هم يحبونك ويتنافسون فيك  
وأنت تزدريهم وترفعين عنهم

{ أحلام شهر زاد ٥٩ }

- فأنا أراك الآن رأى العين  
وأنا أعرفك الآن حق المعرفة

{ أحلام شهر زاد ١٠٢ }

- أنت تريد أن تلهو عن غموض شهر زاد بما تقص عليك من حديث  
وهي أيضاً تريد أن تلهو عن وضوحك بما تقص عليك من أخبار

{ أحلام شهر زاد ٢٦ }

#### ج - النمط الثالث : مبتدأ + خبر ( شبه جملة )

- هم فى حاجة دائماً إلى أن يشكو  
فهم فى حاجة دائماً إلى أن يجدوا مصدراً للشكوى

{ أحلام شهر زاد ٢٥ }

ولم يرد من هذا النمط غير هذا النموذج ؛ الذى يؤكد أن طه حسين لم يستعمله بكثرة .

#### د - النمط الرابع : خبر مقدم + مبتدأ مؤخر

- ومنها الخير  
ومنها الشر

{ أحلام شهر زاد ١٢ }

- فيها شىء من حسرة

وفيهما شىء من يأس

وفيهما شىء من حزن

{ أحلام شهر زاد ١٢ }

- فيها كثير من العطف

وفيهما كثير من القسوة

وفيهما كثير من الإغراء الذى يثير الطمع

وفيهما كثير من الإباء الذى يملأ النفس يأساً وقنوطاً

{ أحلام شهر زاد ٢٤ }

- أين نحن الآن من النهار

وأين نحن الآن من شئون الملك

وأين نحن الآن من شئون أنفسنا

{ أحلام شهر زاد ٥٢ }

- وفى قلوبنا - نحن الرجال - قسوة

وفى أكبادنا غلظ

وفى طبائعنا شدة وعنف

{ أحلام شهر زاد ٥٨ }

- منها ما يقبل

ومنها ما يدبر

ومنها ما ييا من

ومنها ما يشائم

{ أحلام شهر زاد ٩٥ }

- ومنهن الراضية كل الرضا

ومنهن الساخطة كل السخط

{ أحلام شهر زاد ١٠٥ }

- أننى لنا هذا الزورق

وأننى لنا هذا النهر الذى ننحدر فيه

وأننى لنا هذه البحيرة التى تقبل عليها

{ أحلام شهر زاد ١٠٦ }

- وفى نفوسهم مثل ما فى نفوسنا من الحزن

وفى قلوبهم مثل ما فى قلوبنا من الأسى

{ أحلام شهر زاد ١٣١ }

- وما سبيله على النوم

وما سلطانه على الأطياف

{ أحلام شهر زاد ١٣٣ }

ونلاحظ على هذا النمط أن طه حسين استعمله بكثرة ؛ وتراوح هذا النمط



بين الطول والقصر ؛ وفى كلتا الحالتين تحقق التوازن النحوى بين الجمل ؛ كما نلاحظ أن تقديم الخبر على المبتدأ جاء فى صورتين : الخبر شبه الجملة ، والمبتدأ المعرفة أو النكرة ، الخبر الذى جاء فى صورة اسم استفهام ؛ والمعروف لدى النحاة أن أسماء الاستفهام لها الصدارة ؛ وتعرب : خبر مقدم ، والاسم الواقع بعدها : مبتدأ مؤخر .

#### هـ - النمط الخامس : مبتدأ + شبه جملة + خبر

- فأناله زوج

وملكى للملكه تبع

{ أحلام شهر زاد ٣٥ }

ولم يرد من هذا النمط إلا هذا النموذج ، الذى يؤكد أن طه حسين لم يستعمله إلا قليلاً .

#### و - النمط السادس : مبتدأ { محذوف } + خبر { نكرة } + ظرف أو صفة

- نافرة دائماً

جامحة دائماً

{ أحلام شهر زاد ١٧ }

- بحر مضطرب مصطخب

ورياح متناوحة متصايحة

وسحاب متراكب متراكب

{ أحلام شهر زاد ١١٨ }

ولم يرد هذا النمط عند طه حسين إلا مرتين فى هذين النموذجين

السابقين ؛ ولم يرق هذا النمط له لأنه قائم على الحذف والإيجاز وهو ما يخالف طبيعة طه حسين نفسه التى تميل إلى الإسهاب والإطناب .

#### ر - النمط السابع : إذا الفجائية + مبتدأ + خبر

- فإذا الأرض تמיד

وإذا الجو يكفهر

{ أحلام شهر زاد ٩٢ }

- وإذا الملك يستوى جالسًا

وإذا الملك ينهض قائمًا

{ أحلام شهر زاد ١٠٠ }

ويبدو أن استعمال إذا الفجائية قد صارت من أدوات الربط الجاهزة عنده ؛ فيقول كذلك : وإذا الملك يسعى خطوات قصارًا . . . وإذا العاشقان يلتقيان . . . وإذا الزورق ينساب بهما فى نهر ضيق هادئ .

{ أحلام شهر زاد ١٠٠ }

#### ٤ - أنماط الجمل المنسوخة :

وردت الجمل المنسوخة عنده فى الرواية تحمل عدة أنماط نحوية هى على الوجه التالى :

#### أ - النمط الاول : فعل ناسخ + اسمه + خبره + مكملات

- فقد كان الملك يائسًا أشد اليأس من شهر زاد

وكان ضيقًا أشد الضيق بشهر زاد

{ أحلام شهر زاد ٢٤ }

- كانت تنظر إلى مجلس الحرب فى كثير من السخرية وفى كثير من الرثاء  
كانت تنظر إلى أبيها فى كثير من الرحمة والحب وفى كثير من الإكبار والإجلال .

{ أحلام شهر زاد ٩٣ }

- فلست فى عالم الليل والنهار

ولست فى عالم النوم واليقظة

ولست فى عالم الحلم والعلم

{ أحلام شهر زاد ١٢٩ }

- ليس هذا حقاً

وليس هذا عدلاً

{ أحلام شهر زاد ٦٠ }

ومن الملاحظ أن الجملة فى هذا النمط تراوحت بين الطول كما فى المثال  
الثانى والقصر كما فى المثال الرابع ؛ كما نلاحظ أن الجملتين المتوازيتين فى  
المثال الثانى ليس بينهما توازن تام ؛ فقد زادت بعض الكلمات فى الجملة الثانية  
ولا نظير لها فى الجملة الأولى مثل : الحب ، الإجلال ، كما نلاحظ كثرة  
حروف الجر فى هذا المثال : إلى ، فى ، من ، فى ، من ؛ وكثرة هذه  
الحروف وما يستتبعها من أسماء بعدها تُجر بها هى التى تبين لنا السبب الحقيقى  
فى طول الجملة عند طه حسين ؛ ولذا يمكن القول إن طول الجملة عنده راجع  
إلى كثرة حروف الجر فيها كما فى قوله :

- كانت تنظر إلى مجلس الحرب فى كثير من السخرية وفى كثير من الرثاء .

كانت تنظر إلى أبيها فى كثير من الرحمة والحب وفى كثير من الإكبار  
والإجلال .

ب - النمط الثانى : فعل ناسخ + اسمه + جار ومجرور + خبره

- فكان عليها ساخطاً أشد السخط

وكان لها محبباً أشد الحب

{ أحلام شهر زاد ٢٤ }

- فأصبح الشذوذ لنا طبيعة

وأصبح الجموح لنا فطرة

{ أحلام شهر زاد ٦١ }

ومن الملاحظ أن شبه الجملة عند طه حسين لا يستقر فى موضعه الذى قرره لها النحاة ؛ وإنما هو يقدمه هنا على خبر الناسخ وفى مواضع أخرى قد يقدمه على الفاعل ، وعلى المفعول ؛ ويبدو أن شبه الجملة { الجار والمجرور على وجه الخصوص } هو الأداة الطيبة التى يحقق بها طه حسين التوازى بين الجمل .

ج - النمط الثالث : فعل ناسخ + خبره {مقدم} + اسمه {مؤخر}

- فقد يكون من بينهم من هو خليق بالإعجاب

وقد يكون من بينهم من هو جدير بالسخرية

{ أحلام شهر زاد ١١٦ }

ولم يستعمل طه حسين هذا النمط إلا مرة واحدة .

د - النمط الرابع : نفى + فعل ناسخ + اسمه + خبره {جملة}

- فلم يكن شئ يستغلق عليها

ولم يكن حكيم يثبت لحديثها

{ أحلام شهر زاد ١٦ }

- لا يكاد يعقل شيئاً

بل لا يكاد يأتى حركة

{ أحلام شهر زاد ٨٦ }

والمثال الثانى الفعل الناسخ فيه من أفعال المقاربة .

هـ - النمط الخامس : حرف ناسخ + اسمه + خبره

- إنها بائسة

إنها يائسة

{ أحلام شهر زاد ١١٠ }

- إنها شاكية

إنها باكية

{ أحلام شهر زاد ١١٠ }

- وإن الظنون تكذب

وإن الآمال تخيب

{ أحلام شهر زاد ٦٣ }

- كأنها الحياة تسعى إلى الجسم الهامد

أو كأنها اليقظة تسعى إلى النائم المغرق فى النوم

{ أحلام شهر زاد ٨٠ }

- فإن الحرب لا يقتلها إلا الحرب
- وإن الكيد لا يفسده إلا الكيد
- وإن الحديد لا يفله إلا الحديد

{ أحلام شهر زاد ٣٤ }

- كأن شيئاً لم يتغير من حولها
- وكان حدثاً لم يحدث . . . . .

{ أحلام شهر زاد ٩٣ }

- أنى سأظهرك من الأمر على ما لم تكن تقدر أنك ستظهر عليه
- وأنى سأطلعك فى قصرک على ما لم تكن تظن أن قصرک يحتويه

{ أحلام شهر زاد ٧٩ }

ومن الملاحظ فى المثالين الأول والثانى حرص طه حسين على تحقيق أكثر من إيقاع موسيقى ؛ ففيهما التوازى بين كل جملتين ؛ وفيهما السجع أيضاً ؛ وفيهما الجناس الناقص ، ونلاحظ فى المثال الأخير طول الجملتين رغم تحقق التوازى بينهما ؛ ويرجع السبب فى طول الجملة كثرة حرف الجر وما يتعلق به ؛ ففى الجملة ثلاثة أحرف : من الأمر ، على ما ، عليه . كما نلاحظ تنوع الخبر للحرف الناسخ بين كونه مفرداً وكونه جملة .

و - النمط السادس : حرف ناسخ + اسمه + جار ومجرور + خبره

- أن أباً من الآباء لم يجب قط ابنته كما أحبتك
- أن فتاة من الفتيات لم تحب قط أباهما كما أحبتنى

{ أحلام شهر زاد ١٨ }

ولم يرد من هذا النمط إلا هذا المثال ؛ الذى طالت فيه الجملة ليس لتعدد حروف الجر فحسب وإنما لميل طه حسين إلى الإسهاب ، فالكلام عنده لا يؤدى بأوجز عبارة ، وإنما يبسطه بسطاً ليحمل أداء موسيقياً يضاف إلى أداء الأفكار والمعانى .

## ٥ - أنماط الجمل الشرطية والاستفهامية والتعجبية :

وردت جملة الشرط والاستفهام والتعجب فى عدة أنماط نحوية هى :

### أ - النمط الأول : أداة شرط + فعل الشرط + جواب الشرط

- فأينا ثبت حتى يستسلم خصمه فهو المنتصر

وأينا سئم قبل أن يسأم عدوه فهو المهزوم

{ أحلام شهر زاد ١١٦ }

- فأیکم أراد أن يتخذها لنفسه زوجاً فليخطبها إلى نفسها

وأیکم ظفر منها بالرضا فله ملك أبيها مهراً

{ أحلام شهر زاد ١٧ }

نلاحظ طول جملة الشرط ؛ كما نلاحظ عدم التوازي التام بين كل جملتين ؛ فقد فلت زمامه منه لكثرة ما احتشد فى ذهنه من معانٍ وألفاظ .

### ب - النمط الثانى : جواب الشرط + أداة الشرط + فعل الشرط

- لا تثبت القلوب للحظاتها إذا نظرت

ولا تثبت النفوس لصوتها إذا تكلمت

{ أحلام شهر زاد ١٦ }

- كانت تتحرق شوقاً إليه إذا أقبل مياعده المعهود من الليل  
وتتحرق شوقاً إليه إذا أقبل النهار

{ أحلام شهر زاد ٢٢ }

ورغم أن هذا النمط خارج عن مألوف اللغة وما قرره النحاة فإن طه حسين  
لم يستعمله بكثرة .

ج - النمط الثالث : اسم استفهام + جملة فعلية

- كيف انتهى إليها ؟  
كيف حُمل عليها ؟

{ أحلام شهر زاد ١٢٨ }

- ماذا رأى فيها ؟  
وماذا عرف منها ؟

{ أحلام شهر زاد ١٢٨ }

- كيف يكون إفناء القوة ؟  
وكيف يكون دحر الأعداء ؟

{ أحلام شهر زاد ٣٤ }

ونلاحظ أن هذا النمط لم يستعمل بكثرة عند طه حسين لأن طبيعته  
الاستطراذية تقتضى التقرير والإخبار لا تقتضى الإنشاء .

د - النمط الرابع : همزة استفهام + خبر مقدم + مبتدأ مؤخر +  
أم + معطوف

- أناثم هو أم يقظان ؟  
أحالم هو أم عالم ؟



أعاقل هو أم مجنون ؟

{ أحلام شهر زاد ١٢٨ }

أقام طه حسين هذا التوازى بين الجمل على التضاد بين كل كلمتين ، ورغم سهولة هذا النمط فى تحقيق التوازى فإنه لم يستعمله بكثرة .

هـ - النمط الخامس : ما التعجبية + فعل التعجب + التعجب منه

- ما أعذب هذا الصوت

وما أجمل هذا الغناء

{ أحلام شهر زاد ١٠٠ }

- فما أكثر ما قال الملك بعينه لشهر زاد

وما أكثر ما قالت شهر زاد بعينها للملك

{ أحلام شهر زاد ١٠١ }

لم يكثر طه حسين من هذا النمط المؤلف الذى لا يجد من الخروج عليه مفرًا ؛ والذى لا يتيح له فرصة التنويع فى الأداء .

## ٦ - أنماط أجزاء الجمل :

نعنى بأجزاء الجمل أن طه حسين كان يأتى إلى جزء من الجملة ثم يعطف عليه جزءًا موازيًا له ، أو قد يعيده بلفظه مرة ثانية ، أو قد يعيده بمعناه دون لفظه ؛ فمثلاً يقول : وهذه التضحية الآثمة بالنفوس التى أمر الله أن تُعصم

والدماء التى أمر الله أن تحقن

والحرقات التى أمر الله أن ترعى

فهو فى هذا المثال لم يواز بين جملتين وإنما أخذ شبه الجملة والاسم الموصول وجملة الصلة ثم عطف عليها ما يوازيها فى البناء النحوى ؛ وهكذا يفعل فى أجزاء الجمل .

وهذا التوازى الذى يحدثه طه حسين بين أجزاء الجمل هو أكثر الأنماط استعمالاً عنده ، وهذه الأنماط هى :

## أ - النمط الأول : جار ومجرور + اسم موصول { نعت } + جملة الصلة

- بهذا الضوء الرقيق الذى يترقرق بينهما  
وبهذه الأصوات الرشيقة التى تبلغه من حين إلى حين  
{ أحلام شهر زاد ١٣ }

- عن هذه الابتسامة التى كانوا ينتظرونها  
وعن هذا الأمل الذى كانوا يداعبونه  
{ أحلام شهر زاد ٤٣ }

- على هذا النحو الذى لم يعتده الملوك  
وعلى هذا النحو الذى لم يألّفه المحبون  
{ أحلام شهر زاد ٤٩ }

- تلقاه بهذا العطف الذى لم يتعوده  
وبهذا الحنان الذى لم يألّفه  
{ أحلام شهر زاد ٥٤ }

ونلاحظ أن طه حسين استعمل هذا النمط بكثرة لوجود الجار والمجرور ثم جملة الصلة التى يمكنه أن يحقق من خلالها التعادل الموسيقى المنشود .

## ب - النمط الثانى : خبر لناسخ + جار ومجرور + مضاف إليه

- كان أبوها معجباً بهذا الكبرياء  
فخوراً بهذا الإباء

## محباً لهذا الامتناع

{ أحلام شهر زاد ١٧ }

- يصبح جزءاً من أجزائها  
وعنصراً من عناصرها

{ أحلام شهر زاد ٤١ }

- كانت شهر زاد رفيقة به إلى أقصى غايات الرفق  
محبة له إلى أبعد آماذ الحب

{ أحلام شهر زاد ٥٥ }

- فإن الجيوش وسيلة لاتقاء الحرب لا لابتغائها  
وأداة لدفع الشر لا لاجتلابه

{ أحلام شهر زاد ١١٧ }

## ج - النمط الثالث : اسم مجرور + نعت

- إنما تحسب بالقرون المتتابة  
والأحقاب المتلاحقة

{ أحلام شهر زاد ١٨ }

- بيدها الرخصة الناعمة  
وصوتها العذب الجميل  
ووجهها المشرق الوضاء

{ أحلام شهر زاد ٢٧ }

- سائلاً عن إرادته أين نددت  
وعن قوته أين شردت

{ أحلام شهر زاد ٥٦ }

د - النمط الرابع : اسم موصل + جملة صلة + جار ومجرور

- بما يضطرب فى نفس الملك من قلق

وما يملأ قلبه من حزن

{ أحلام شهر زاد ٢٣ }

- ألقوا بكل ما أعدوا من عدة

وما حشدوا من جند

{ أحلام شهر زاد ٣٤ }

هـ - النمط الخامس : جار ومجرور + مضاف إليه

- ولو استطعت لمضيت فى تشجيعك على هذا الامتناع

وإغرائك بهذا الإباء

{ أحلام شهر زاد ١٨ }

- كان يسأل نفسه عن مصدر هذه الحيرة

وعن علة هذا السهاد

{ أحلام شهر زاد ٣٩ }

و - النمط السادس : حال + لا العاطفة + معطوف

- أن ينصبوا لى الحرب مؤتلفين لا مختلفين

ومتظاهرين لا متدابرين

{ أحلام شهر زاد ٣١ }

ر - النمط السابع : أن المصدرية + فعل مضارع + فاعل + معطوف

- كان يريدكم على أن يصطنعوا الدقة كما يصطنعها  
ويعنوا فى التفكير كما يعن فيه

{ أحلام شهر زاد ٣٧ }

- نحن قد ألفنا أن نأمر ولا نأمر  
وأن ننهى ولا ننتهى  
وأن نطاع ولا نطيع

{ أحلام شهر زاد ٦١ }

- ولم يستطيعوا مع ذلك أن يجهروا بما أضمرنا  
أو أن يعلنوا بما أسروا

{ أحلام شهر زاد ١٣٤ }

ح - النمط الثامن : تمييز ( ملحوظ ) + جار ومجرور

- ازدادت حسنًا إلى حسن  
وجمالاً إلى جمال  
وفتنة إلى فتنة

{ أحلام شهر زاد ١٨ }

ط - النمط التاسع : خبر المبتدأ + جار ومجرور + مضاف إليه

- إنما هو ناصع كضوء الشمس

رقيق كضوء القمر

حلو كابتسامة العذراء

{ أحلام شهر زاد ٨٤ }

ى - النمط العاشر : حال { مفردة } + حال { جملة } + جار

ومجرور

- أقبل الملك وَجِلاً يخفى وجهه فى كثير من الجهد

ومذعوراً يُسرُّ ذعره فى كثير من العناء

{ أحلام شهر زاد ٨٦ }

ك - النمط الحادى عشر : فاعل + حال { جملة }

- وتمضى على ذلك الأيام تتلوها الأيام

والليالى تتبعها الليالى

{ أحلام شهر زاد ١٢٠ }

ل - النمط الثانى عشر : مبتدأ مؤخر + نعت

- فهناك أوامر يجب أن تصدر

وجنود يجب أن تعبأ

وأمر يجب أن تهيأ

{ أحلام شهر زاد ٨٧ }

- ولها أحيانًا هفيف كهفيف الأغصان

وأحيانًا أخرى فحيح كفحيح الحيات

- وأحيانًا أخرى صفير مخيف

وأحيانًا أخرى زئير مزعج

{ أحلام شهر زاد ٩٥ }

م - النمط الثالث عشر : مضاف إليه + نعت

- والتمس عند القائلين ما أحبيت من وصف

الجنات الرائعة

و الرياض البارعة

والحدائق الملتفة

والغابات المتكاثفة

والأزهار المنسقة

والغدران المصفقة

{ أحلام شهر زاد ١٠١ }

ن - النمط الرابع عشر : مفعول به + نعت أو مضاف إليه أو جار

ومجرور

- ذلك خليك أن يرد نفسك إلى الراحة

وقلبك إلى الاطمئنان

{ أحلام شهر زاد ٣٢ }

- فالتمس لى إذا فرجًا من هذا الحرج  
ومخرجًا من هذا المأزق

{ أحلام شهر زاد ٦٣ }

- ستجد عند الملك أمنا من هذا الخوف  
ووزرًا من هذا الفزع

{ أحلام شهر زاد ٩٣ }

- يعرفون جمالها الرائع  
وحسنها البارع

{ أحلام شهر زاد ١١٩ }

س - النمط الخامس عشر : اسم تفضيل + مضاف إليه + تمييز

- إنما تريد أن تقترن بأقوى ملوك الجن قوة  
وأشدهم أيدياً  
وأعظمهم بأساً  
وأبعدهم صوتاً

{ أحلام شهر زاد ٣٥ }

ع - النمط السادس عشر : حال + شبه جملة + اسم تفضيل + مضاف إليه

- وتتلقى ضوء الشمس مبتهجة به أعظم الابتهاج  
نشيطه له أشد النشاط

{ أحلام شهر زاد ٤١ }



ف - النمط السابع عشر : اسم موصول { مفعول به } + جملة صلة + جار ومجرور

- أريد ما تريده الأم لابنها
- وما تريده الأخت لأخيها
- وما تريده البنت لأبيها
- وما تريده الزوج لزوجها الوفى
- وما تريده العشيقة لعشيقها المفتون

{ أحلام شهر زاد ٤٨ }

ص - النمط الثامن عشر : خبر لناسخ + نعت { جملة }

- فقد استقر فى نفسه أن صاحبه
- بحر لايسبر غوره
- وليل لاتنجلي ظلمه
- ولغز لا تحل مشكلاته

{ أحلام شهر زاد ٥٤ - ٥٥ }

ق - النمط التاسع عشر : جار ومجرور + حرف عطف + معطوف

- بما تحمله عليه من الرضا والسخط
- ومن اللذة والألم
- ومن النعيم والبؤس
- ومن الظفر والحرمان

{ أحلام شهر زاد ٥٥ }

## ثانياً : الجمل المتوازية والبناء النحوى :

ساق طه حسين لنا الجمل المتوازية فى نسقين هامين : تكرار النسق النحوى فقط ؛ ونعنى به تطابق جملة مع أخرى على مستوى البناء النحوى مع الاختلاف فى المعنى ؛ فالجملة الثانية تتوازى مع الأولى فى تركيبها توازياً تاماً ؛ مثل قوله :

- فاذرف ما تستطيع أن تذرف من دموع  
واحمل ما تستطيع أن تحمل من حزن  
واعمل ما تستطيع أن تعمل من خير  
وتجرّع ما تستطيع أن تتجرّع من ندم

فهذه الجمل الأربع متوازية فى البناء النحوى توازياً تاماً ، ولكن لكل جملة منها معنى يخالف المعنى الموجود فى الجمل الأخرى ، فإننا لو حللنا نحويّاً هذه الجمل لوجدناها تتكون من حرف العطف الفاء فى الأولى ، والواو فى بقية الجمل ثم فعل الأمر : اذرف ، احمل ، اعمل ، تجرّع ، والفاعل الضمير المستتر أنت ؛ ثم المفعول به وهو الاسم الموصول ما ، ثم جملة الصلة ؛ وهى الفعل : تستطيع والفاعل الذى جاء فى صورة ضمير مستتر تقديره أنت ؛ ثم المصدر المؤول المكون من أن والفعل ، وهذا المصدر المؤول فى محل نصب مفعول به ، وتقدير الكلام : واحمل ما تستطيع حمله من حزن ، ثم أخيراً شبه الجملة الجار والمجرور المتعلق بالفعل قبله .

وكذلك قوله : منها ما يقبل

ومنها ما يدبر

ومنها ما ييامن

ومنها ما يشائم

فالملاحظ على هذه الجمل الأربع أنها متفقة تمامًا فى بنائها النحوى ، حيث تتكون من حرف الجر : من ، والضمير المجرور : ها ، وشبه الجملة خبر مقدم ، والاسم الموصول : ما هو المبتدأ المؤخر ، ثم جملة الصلة المكونة من الفعل والفاعل لا محل لها من الإعراب ، والفعل فى جملة الصلة مضارع يبدأ بالياء ثم هو من أصل رباعى : أقبل ، أدبر ، يامن ، شائم ، والملاحظ أن الأول والثانى مزيدان بالهمزة ، والثالث والرابع مزيدان بالألف .

ورغم تطابق البناء النحوى بين هذه الجمل فإنها تختلف فى دلالتها ؛ فلكل جملة معنى يختلف عن غيره .

ويقول أيضاً :

أنا أمك حين تحتاج إلى حنان الأم  
وأنا أختك حين تحتاج إلى مودة الأخت  
وأنا ابنتك حين تحتاج إلى بر البنات  
وأنا زوجك حين تحتاج إلى عطف الزوجة  
وأنا خليلتك حين تحتاج إلى مرح الخليفة

هذه الجمل الخمس بنيت بناءً نحويًا متوازيًا ؛ فالمبتدأ : أنا ، ثم الخبر : أم ، أخت ، ابنة ، زوج ، خليفة ، ثم كاف الخطاب فى محل جر مضاف إليه ، ثم ظرف الزمان : حين ، ثم جملة الصلة : تحتاج ، والفاعل مستتر تقديره أنت ، ثم حرف الجر : إلى ثم المجرور بهذا الحرف ، وأخيرًا المضاف إليه ، ورغم اتفاق هذه الجمل فى بنائها النحوى اتفاقًا تامًا فإن المعنى مختلف .

أما النسق الثانى فهو النسق النحوى الدلالى ؛ ونعنى به توازى جملتين أو أكثر واتفاقهما فى البناء النحوى وأيضًا فى الدلالة .

فالنسق الأول متفق فى بناء الألفاظ فقط دون المعنى ، والنسق الثانى متفق فى بناء الألفاظ والمعنى ، ولذا فالأول بناء نحوى فقط ، والثانى بناء نحوى دلالى ، مثل قوله :

- يتبع هواه الجامح  
ويركب شهوته المندفعة

فهاتان الجملتان متفقتان فى البناء النحوى حيث إن كلا منهما يتكون من الفعل المضارع ، والفاعل المستتر : هو ، والمفعول به ؛ والضمير الهاء مضاف إليه ، ثم النعت المصاغ على اسم فاعل . وهما كذلك متفقتان فى الدلالة ، فالهوى الجامح يعنى أيضاً الشهوة المندفعة .  
ومثل قوله :

يستعدون لكل حادثة  
ويتأهبون لكل كارثة

فالجملتان مبنيتان بناء نحوياً واحداً ؛ فكل منهما تشتمل على الفعل المضارع المرفوع بثبوت النون ، وواو الجماعة الفاعل وشبه الجملة الجار والمجرور : لكل ، ثم المضاف إليه فى نهاية الجمل المصاغ على وزن فاعل .

والى جانب الاتفاق فى البناء النحوى فهناك نوع من الموسيقى مصدرها الجناس بين : حادثة ، وكارثة ، والسجع كذلك ؛ ونلاحظ من خلال هاتين الجملتين أن طه حسين وزع الحروف بين الجملتين المتوازيتين توزيعاً عادلاً ، وكأنه يمسك بكفتى ميزان ؛ فكلما وضع حرفاً فى إحداها وضع نظيره فى الكفة الأخرى .

ثم جاء المعنى متفقاً بين الجملتين ، فصارت الجملتان ملفوفتين تأخذ كل منهما برقبة الأخرى فى جرس موسيقى بديع ومعنى جلى .

وقوله أيضاً :

- اقترفتَ من الإثم مثل ما اقترفوا  
واجترحتَ من الذنب مثل ما اجترحوا

فالجملتان متفقتان فى البناء النحوى ؛ فكل منهما يتركب من الفعل الخماسى المزید بالهمزة والتاء ثم تاء الفاعل ، ثم الجار والمجرور ثم المفعول به : مثل ، ثم الاسم الموصول : ما مضاف إليه ، ثم جملة الصلة المكونة من الفعل والفاعل ؛ ولا محل لها من الإعراب .

والجملتان كذلك متفقتان فى الدلالة ؛ فالفعل اقترف يرادفه اجترح ، والإثم هو أيضاً الذنب .

وبذلك تأكد لدينا أن طه حسين ينشئُ جملاً متوازنة على مستوى البنية النحوية ، ومتوازنة كذلك على مستوى الدلالة .

ولكنه فى بعض الأحيان لا يجعل التوازي بين الجملتين توازياً تاماً ؛ فقد يتخلل عن ذلك حرصاً منه على أن ينقل إلينا كل ما يختلج فى عقله وقلبه من خواطر ومشاعر ، فليس الجمال الصوتى عنده هدفاً فى حد ذاته وإنما هو وسيلة يتوسل بها لينقل للمتلقى ما يتدفق على ذهنه من معانٍ وأفكار .

فهو يقول : - قد غيرت من رأيها

وعدلت عن سيرتها الأولى

فإضافته كلمة : الأولى بعد : سيرتها أخل بالتوازن ، ولكنه لم يشأ أن يحقق التوازن على حساب المعنى ؛ فقلوه : عدلت عن سيرتها فقط يعنى أنها لم تكن تسير إلا سيرة واحدة ؛ أما إضافة كلمة : الأولى فأشعرت المتلقى أن الملكة سارت سيرة ثم عدلت عنها إلى سيرة أخرى ، ثم عادت مرة ثانية إلى ما سارت عليه أولاً .

- وقوله : إنا ندفعها إلى الموت حين نحارب

وندفعها إلى البؤس والشقاء حين نسالم

نلاحظ أن مجئ كلمة : الشقاء بعد كلمة : البؤس أدخل بالتوازن بين الجملتين ؛ ولكنه أراد أن يوصل للمتلقى معنى زائداً عما هو موجود فى كلمة : البؤس ، ليؤكد أن حالة السلم لهؤلاء الملوك لا تقل عذاباً عن حالة الحرب .

وقد يحدث الخلل فى التوازي بين الجمل لا بسبب دفقة الفكر والشعور المندفعة من عقل وقلب طه حسين فحسب وإنما لسبب آخر يتمثل فى الحرص على تحقيق السلامة اللغوية

- مثل قوله : لا تدنيه إلا لتقصيه

ولا تلتطف به إلا لتعنف عليه

فقد اختل التوازن بين الجملتين لاختلاف الفعل فيهما ؛ فالفعل : أدنى متعدٍ لمفعول واحد ، والفعل : لطف لازم وكذلك الفعل : أقصى متعد ، والفعل : عنف لازم ومن هنا جاء اختلال التوازن .

وهذا يؤكد لنا أن حرص طه حسين على سلامة اللغة كان أشد من حرصه على تحقيق الإيقاع الموسيقى .

- وقوله : لم تقص عليه شيئاً

ولم تتحدث إليه بشيء

فقد اختل التوازن بين الجملتين لا لشيء إلا لعلم طه حسين أن الفعل : قصَّ متعدٍ ، والفعل : تحدث لازم .

- وقوله : لم تمنح واحداً منهم ابتسامة

ولم تهد إلى واحد منهم نظرة

لقد كان بإمكان طه حسين أن يقول فى الجملة الثانية : ولم تهد واحداً منهم نظرة ؛ ولو أنه قال ذلك لتحقيق التوازن الموسيقى ؛ ولكن على حساب صحة اللغة وسلامتها ؛ ولذا فقد أثر هذه على تلك واحتل التوازن بين الجملتين واكتمل المعنى وسلمت اللغة .

نخلص من ذلك إلى أن طه حسين قدم لنا نسقين من أنساق الجمل المتوازية: نسق يتطابق فى البناء اللغوى فقط ، ونسق يتطابق فى البناء النحوى والدلالة ؛ وإذا احتل هذا التوازن بين الجمل فذلك راجع إلى سببين هامين : حرصه على أن يقدم لنا كل ما يختلج فى عقله وقلبه من خواطر ومشاعر ، وحرصه أيضاً على تحقيق السلامة اللغوية .

### ثالثاً : الجمل المتوازية وعلاقتها بالتضاد الدالى :

نعنى بالتضاد هنا كل كلمتين تختلفان فى اللفظ وتتناقضان فى المعنى ، كالأبيض والأسود ، والحى والميت ، ولا نعنى به اللفظة الواحدة التى تحمل معنيين متناقضين كإطلاق المولى على السيد والعبد .

هناك علاقة وثيقة بين التضاد والجمل المتوازية عند طه حسين ، فهو يلجأ إلى التضاد ليستعين به على بناء الجمل بناء متوازياً ، فطه حسين جعل التضاد فى خدمة الجمل المتوازية ، وليس العكس ؛ لأننا سنرى من خلال الأمثلة جملاً قائمة على التضاد دون حاجة إلى ذلك إلا الإيقاع الموسيقى فحسب .

فهو يقول : - بما تحمله عليه من الرضا والسخط

ومن اللذة والألم

ومن النعيم والبؤس

ومن الظفر والحرمان ص ٥٥

فهو من خلال الكلمة وضدها صنع توازيا بين أشباه الجمل الأربع ؛ ولا أظن أن المعنى كان فى حاجة إلى كل هذه الثنائيات المتضادة ؛ والمرجح أنه لجأ إلى ذلك لتحقيق مأربه الذى ما فتئ يلح عليه بين الفينة والفينة وهو الجمال الصوتى والإيقاع الموسيقى .

ويقول أيضاً :

- أناثم هو أم يقظان

أحالم هو أم عالم

أعاقل هو أم مجنون ص ١٢٨

هذا الولع بالثنائيات المتضادة متفشٍ فى كلام طه حسين لا يكاد يحيط به الحصر ؛ وهو يكون فى الأسماء والأفعال والصفات .

ويقول أيضاً :

- فلست فى عالم الليل والنهار

ولست فى عالم النوم واليقظة

ولست فى عالم الحلم والعلم ص ١٢٩

فالجمل الثلاث السابقة تتكرر ألفاظها كما هى باستثناء الكلمة وضدها : الليل X النهار ، النوم X اليقظة ، الحلم X العلم .

- ويقول أيضاً :

- أن تنعم وهم بائسون

وأن نقوى وهم ضعفاء

وأن نثرى وهم فقراء ص ٦٠



فكل كلمة فى الجمل الثلاث تتكرر ما عدا التضاد الذى أحدثه بين الأفعال والأسماء : نعم X بائسون ، نقوى X ضعفاء ، نثرى X فقراء .

ويعكس طه حسين التضاد الذى أحدثه بين الأفعال والأسماء فيجعله فى هذه المرة بين الأسماء والأسماء مع تقديم وتأخير ؛ فيقول :

- نستمد من بؤسهم نعيمًا

ومن ضعفهم قوة

ومن فقرهم ثراء ص ٦٠

والحرص على هذه الثنائيات المتضادة بهذا الشكل يجعلنا نعلن صراحة أن طه حسين فى كثير من الأحيان يسوق أساليب محفوظة بذاتها يبنى عليها معانيه ويصوغ عليها أفكاره ؛ وصارت هذه الألفاظ الجاهزة والجمل المحفوظة تجر إليها المعانى وتشدها شدًّا . ونسوق جُمْلَةً من هذه الثنائيات ليتأكد لنا ذلك : يقول :

- ندفعها إلى الموت حين نحارب

وندفعها إلى البؤس والشقاء حين نسالم ص ٦٣

ويقول : - يمسه جناح من لين

أو يصيبها عارض من شدة ص ٥٨

ويقول : - فكان عليها ساخطًا أشد السخط

وكان لها محبًّا أشد الحب ص ٢٤

ويقول : - فىرى نوراً لا يشبه النور

وظلمة لا تشبه الظلمة ص ١٢٨

ويقول : - لننعم كما كنا ننعم

ونأسى كما كنا نأسى ص ١٣٢

ويقول : - ألا يتقدم إلا ليتأخر

ألا يمضى إلا ليقف ص ٤٢

ويقول : - وهم إلى السخط أقرب منهم إلى الرضا

وإلى المعصية أدنى منهم إلى الطاعة ص ١١٨

ويقول : - أفق يا مولاي من نومك إن كنت نائماً

ومن يقظتك إن كنت مستيقظاً ص ١٢٩

ويقول : - لا تدنيه إلا لتقصيه

ولا تلتطف به إلا لتعنف عليه ص ٥٤

ويقول : - ينصبوا لى الحرب مؤتلفين لا مختلفين

ومتظاهرين لا متدابرين ص ٣١

ويقول : - فكلهم بعيد من صاحبه إلى أقصى غايات البعد

وكلهم قريب من صاحبه إلى أدنى آماذ القرب ص ٨٥

هذا الولع بالثنائيات المتضادة لم ينشأ لدى طه حسين من فراغ ، فقد كانت له جذوره العميقة فى مكنون عقله وحسه ، وارتبط هذا الضرب من التوازن المتعارض بواقع حياته التى كانت مزيجاً من هذه المتضادات المتوازنة .

وعلى هذا النمط من التوازى يسوق طه حسين جملة ، وإن الإنسان ليخيل إليه كأنما سُخِّرَتْ له ألفاظ اللغة تسخييراً ، فهو يختار منها ما يشاء ويدع منها ما يشاء .

وهذا التوازى هو الذى يتيح لظه حسين هذه المعادلات الصوتية التى تجعل الجمل تتعادل هذا التعادل الموسيقى البديع ، وكأنما قد فصلت تفصيلاً وقسمت تقسيماً ؛ فإذا الفكرة لا تؤدى فى جملة واحدة ، ولكن فى عدة جمل ، لا لسبب إلا لأن طه حسين يريد لها أداءً موسيقياً بجانب أدائها المعنوى .

### رابعاً : الجمل المتوازية وعلاقتها بالتجنيس :

التجنيس الذى نعنيه هنا هو اتفاق بين كلمتين فى عدد من الحروف ؛ وهو ما يعرف عند البلاغيين بالجناس الناقص ؛ فإن اتفقت الكلمتان فى جميع الحروف وترتيبها وضبطها فهو الجناس التام<sup>(١)</sup> ؛ والذى وجدناه عند طه حسين هو الجناس الناقص وليس التام .

وقد جانس طه حسين بين الألفاظ ليحقق لجملة إلى جانب التوازى جرساً موسيقياً عالياً .

وقد صار هذا التجنيس ركيزة من ركائزه الكلامية التى يكثُر دورانها فى كلامه .

ويأتى التجنيس عنده على ضربين :

الضرب الأول : أن يشتق من الكلمة القابلة للاشتقاق صفة ؛ بمعنى أن الحروف الأساسية الموجودة فى الكلمة تعود فتظهر فى الصفة ؛ فيحدث بين الكلمة والصفة المشتقة منها جناس موسيقى جميل ، فيتخذ من كلمة : جهد صفة وهى جهيد . ومن كلمة : رقة صفة وهى : رقيقة ، وهكذا يصنع جناساً لا يكاد يشركه فيه أحد من القدماء أو المحدثين ، وهو يصنع ذلك بحس بالغ الرهافة إلى الموصوفات التى تقبل أن تشتق منها صفة :

(١) حل مصطلح الجناس فى البلاغة انظر : البديع لابن المعتز ، ط المستشرق الروسى كراتشكوفسكى ، والجامع الكبير لابن الاثير ، ط المجمع العلمى العراقى ، والإيضاح للقرونى .

فيقول : - مشقة شاقة

وعسر عسير

ويقول : - البيان المبين

ويقول : - رقة رقيقة

ولين ليين

ويقول : - جهد جهيد

ومشقة شاقة

ويقول : - ثم عادت إلى ظلمتها المظلمة

وهذا الاشتقاق نجد صداه فى القرآن الكريم لا ينتبه له إلا ذو أذن واعية  
كطه حسين ؛ نجده فى قوله تعالى : ﴿ وكنت نسياً منسياً ﴾ ، وفى قوله :  
﴿ وكان أمر الله قدراً مقدوراً ﴾ .

وأما الضرب الثانى من ضروب التجنيس عنده فهو أن يجاور بين كلمتين أو  
أكثر تشتركان فى عدد من الحروف ؛ يصنع من خلالهما التوازى بين الجمل إلى  
جانب الموسيقى الداخلية النابعة من هذا الجنس .

فيقول مثلاً : - رفيق رفيق

- فرحة فرحة

- أن ينصبوا الى الحرب مؤتلفين لا مختلفين  
ومتظاهرين لا متدبرين

- بما يضطرب فيها من ضوء ضئيل نحيل

- قدّرت له أحلام صاحبه تقديراً

وقطّرت له أحاديثها تقطيراً

- لم يتعود أن يجدها فى خرير الغدير
- وقد تاب إليه حزمه وعزمه
- وعاد إليه حده وجده
- الجنات الرائعة ، والرياض البارعة
- والحدائق الملتفة ، والغابات المتكاثفة
- والأزهار المنسقة ، والغدران المصفقة
- كل شىء هامد خامد
- وكل شىء جامد راكد
- إنها بائسة ، إنها يائسة
- إنها شاكية ، إنها باكية
- بحر مضطرب مضطرب
- ورياح متناوذة متصايحة
- وسحاب متراكم متراكم
- يعرفون فتنها وفطنتها
- أحالم هو أم عالم
- الماهرة الماكرة
- يبلغ أذن الملك صوت شهر زاد رقيقاً رشيقاً
- هذا الجو الفرح المرح

هذا الأسلوب المتموج الزاخر بالنغم يؤكد إيمان صاحبه بأن الأدب الجدير بهذا الاسم هو الذى يروع السمع كما يروع القلب فى آن واحد .

وهو لذلك يوفر لصوته كل جمال ممكن ، فقد أصبح هذا الأسلوب جزءاً من نفسه وعقله ، فهو لا يملئ ولا يحاضر إلا به ، وكثيراً ما تجد فيه الألفاظ المتجانسة ، وهو يعمد إلى ذلك عمداً حتى يستم ما يريد من إيقاعات وأنغام ينفذ بها إلى وجدان سامعه وقارئه .

### خامساً: الجمل المتوازية وعلاقتها بالإطناب:

الإطناب لغةً : مصدر أطنب فى كلامه إذا بالغ فيه وطوّل ذيوله ، واصطلاحاً : زيادة اللفظ على المعنى لفائدة ؛ فخرج بذكر الفائدة التطويل والحشو<sup>(١)</sup> . وللإطناب عند طه حسين صور ثلاث ؛ هى التكرار ؛

كقوله : - إنما تمضى وتمضى فى ارتفاعها

وتمضى وتمضى فى اتساعها

- وإذا هى تهبط ثم تهبط

وتضيّق ثم تضيق

والصورة الثانية للإطناب عنده هى الترادف ؛ ويكون على مستوى الكلمة أو الجملة أو عدة جمل .

ومثال الترادف عنده قوله :

- وجلاً يخفى وجله فى كثير من الجهد

ومذعوراً يُسرُّ ذعره فى كثير من العناء

(١) حول مصطلح الإطناب فى البلاغة انظر : سر الفصاحة لابن سنان الخفاجى ، وكتاب الصناعتين لأبى هلال العسكري ، وعلوم البلاغة لأحمد مصطفى المراغى .

فالوجل يرادفه الذعر ، والفعل : يخفى يرادف الفعل : يسرّ ، والجهد يرادف العناء . ولذا فالجملتان بينهما إطناب عن طريق الترادف .

والصورة الثالثة من صور الإطناب عنده هى التفصيل بعد الإجمال ، أو التوضيح بعد الغموض ؛ كقوله عن شهریار :

و ثارت فى نفسه عاطفة ضئيلة ولكنها حادة ،

فيها شىء من حسرة

وفيها شىء من يأس

وفيها شىء من حزن على عهد قد انقضى

فالإجمال فى قوله : عاطفة ضئيلة ولكنها حادة ، والتفصيل بعد ذلك .

والإطناب عند طه حسين ظاهرة طبيعية ، لفقده حاسة الرؤيا ؛ وإذا كان تثبت الانتباه يخلط أو يطمس من العقل السياق الذى برزت منه المادة التى تُقرأ فمن الممكن استعادة السياق بإرجاع البصر سريعاً عبر النص على نحو انتقائى ، ويختلف الموقف عند طه حسين ، فليس ثمة شىء يستدبره خارج العقل ، لأن المنطوق الشفاهى عنده يكون قد تلاشى بمجرد أن ينطق به ، ومن ثم يكون على العقل أن يتحرك إلى الأمام بشكل أكثر بطئاً محتفظاً قريباً من بؤرة الانتباه بالكثير مما قد تناوله من قبل ، فيلجأ إلى الإطناب لأن الإطناب يجعل كلا من المتكلم والسامع على الخط نفسه بشكل مؤكد .

ومما يدعو أيضاً إلى الإطناب حاجة من يلقي على جمهور إلى الاستمرارية ، لأن التردد فى الإلقاء الشفاهى علامة على القصور ، ومن هنا كانت إعادة الكلام بشكل فنى فى صورة ترادف أو تكرار أو توضيح أفضل من التوقف عن الكلام جرياً وراء الفكرة التالية .

ومن ثم كان للإطنباب عند طه حسين وظيفة مزدوجة تتعلق به كما تتعلق بالجمهور المستمع إليه ، حيث يسمح له بأن يظل على ذكر مما قال ، كما يتيح له فرصة التفكير فيما سيقول ؛ وحيث يتيح للجمهور المتابعة فلا يند عنه شىء . كل هذا يؤكد أن الإطناب عنده كان ضرورة تفرضها طبيعة الخطاب الشفاهى ، ثم صار عادة عنده حتى عندما يملئ ، ولكنه استطاع أن يجعل منه موضوعاً جمالياً ، يملأ الأسماع عندما يُتلقى سماعاً ، ويشير التأمل عندما يُقرأ على الورق .

وقد استعان طه حسين بالإطناب فى صوره الثلاث ليحقق التوازن بين الجمل ؛ فمن الجمل المتوازية التى تحققت عن طريق الإطناب بال تكرار :

- انعقد لسان شهريار

وانعقد لسان شهر زاد

فقد تحقق التوازي بين هاتين الجملتين عن طريق تكرار : الفعل : انعقد ، والفاعل : لسان ، ولم يتغير سوى المضاف إليه .

- تصل إلى نفوس الرقود أحياناً

كما تصل إلى نفوس الأيقاظ أحياناً أخرى

فقد تحقق التوازي بين هاتين الجملتين عن طريق التكرار لكل كلمات الجملتين ما عدا : الرقود فى مقابل الأيقاظ ، وإضافة كلمة : أخرى فى نهاية الجملة الثانية :

- يمد يده عن يمين

ويمد يده عن شمال

تحقق فى هاتين الجملتين التوازي التام ؛ وكان الإطناب بالتكرار هو العامل



الأساسى فى تحقيق ذلك ؛ ولم يتغير فى الجملتين إلا آخر كلمة فى كل منهما :  
يمين ، وشمال .

- فرأى فيها ما رأى

وسمع فيها ما سمع

تحقق أيضاً التوازى بين الجملتين عن طريق الإطناب بال تكرار ؛ فكل جملة  
تكرر فيها الفعل مرة أخرى ؛ رأى ، سمع ؛ إلى جانب تكرار شبه الجملة :  
فيها .

وهناك الكثير من الجمل المتوازية التى تحققت عن طريق التكرار لا مجاز  
لحصرها لكثرتها .

أما الجمل التى تحقق فيها التوازى عن طريق الإطناب بالترادف فهى :

- فالحرب محتملة دائماً

والشر متوقع أبداً

نلاحظ أن الجملة الثانية مرادفة للأولى ؛ وإنما ساقها طه حسين لتحقيق  
التوازن الموسيقى بينهما ، فالحرب هى الشر ، والمتوقع يرادف المحتمل ، ودائماً  
تحل محل أبداً .

- كل شىء هامد خامد

وكل شىء جامد راكد

تحقق التوازى بين الجملتين عن طريق الإطناب بال تكرار : كل شىء ،  
والإطناب بالترادف : هامد وجامد ، وخامد وراكد ، وإلى جانب التوازى  
هناك موسيقى داخلية نابعة من التجنيس بين هامد ، وخامد ، وجامد وراكد ،  
ونابعة كذلك من السجع الذى حدث بين الجملتين .

- هذا أكثر مما كنت أرجو
- هذا أكثر مما كنت أنتظر
- هذا أكثر مما كنت أظن

تحقق التوازى بين هذه الجمل الثلاث عن طريق الإطناب بالتركرار : هذا أكثر مما كنت ؛ وكذلك عن طريق الإطناب بالترادف بين : أرجو ، أنتظر ، أظن ، وبذلك أصبح الإطناب أداة طبيعة فى يد طه حىن حقق من خلاله التوازى بين الجمل ، وكذلك قوله :

- هذا يقدم إليه أقاليم البحر
- وهذا يقدم إليه أقاليم البر
- وهذا يقدم إليه أقاليم الجو

حقق طه حىن التوازى بين هذه الجمل الثلاث عن طريق التكرار لكل وحدات الجملة ما عدا الوحدة الأخيرة : البحر ، البر ، الجو ، ولو كانت هناك كلمة أخرى تدل على اتجاه رابع غير هذه الاتجاهات الثلاثة لجعل الجمل المتوازية أربعاً لا ثلاثاً .

- فأصبح الشذوذ لنا طبيعة
- وأصبح الجموح لنا فطرة

تحقق التوازى بين هاتين الجملتين عن طريق الإطناب بالتركرار لكلمة : أصبح ، لنا ؛ والإطناب بالترادف : الشذوذ والجموح ، طبيعة وفطرة .

- فإن الحرب لا يقتلها إلا الحرب .
- وإن الكيد لا يفسده إلا الكيد .
- وإن الحديد لا يفله إلا الحديد .

تحقق التوازى بين هذه الجمل الثلاث عن طريق الإطناب بالتركرار لكلمة :

إن ، لا ، إلا ، والإطناب بالترادف بين : الحرب ، الكيد ، الحديد .

أما التوازى بين الجمل الذى تحقق عن طريق التفصيل بعد الإجمال ف نماذجه قليلة بالقياس إلى الإطناب عن طريق التكرار ، أو الإطناب عن طريق الترادف ، وعلة ذلك أن التفصيل بعد الإجمال يحتاج إلى نظرة شمولية للفكرة ؛ وقد كان طه حسين يعرض فكرته بشكل جزئى ؛ ويبرزها فى جزئيات متعددة حتى يصل إلى الفكرة الكلية بعد خطوات وثيدة لأنه كان يعتمد على الخطاب الشفاهى الذى يتحسس اللفظ قبل صدوره ، على عكس من يكتب فإنه لا يحتاج كثيراً إلى تكرار أو ترادف أو تفصيل ، وإنما يقفز إلى فكرته بصورة كلية شاملة .

وقد استعان طه حسين بالتفصيل بعد الإجمال ليحقق به التوازى بين الجمل ؛ ومن نماذجه :

يقول : - ولكن الحرب ستبلغهم هم :

- ستعرض شبابهم للموت

وستعرض أطفالهم لليتم

وستعرض أموالهم للفناء ص ٥٨

فالإجمال جاء فى قوله : ولكن الحرب ستبلغهم هم . والتفصيل ما جاء بعده .

ويقول : - وتسارعوا إلى أبيها يحكمونه فيما يخضع لهم من الممالك والأقاليم :

- هذا يقدم إليه أقاليم البحر

وهذا يقدم إليه أقاليم البر

وهذا يقدم إليه أقاليم الجو

فالإجمال فى قوله : يخضع لهم من الممالك والأقاليم ؛ والتفصيل بعد ذلك .

ويقول : - وهذه الرياح تتناوح :

- منها ما يقبل

ومنها ما يدبر

ومنها ما ييامن

ومنها ما يشائم

ومن الواضح أن هذا النوع من الإطناب { التفصيل بعد الإجمال } يبدأ بتقرير حقيقة ما ، ولكن هذا التقرير فيه إجمال يتوقع معه المتكلم أن المستمع سيوجه إليه السؤال : وكيف ؟ فيشرع المتكلم عندئذ فى التفصيل .

ويرجع السبب فى وجود هذا اللون من الإطناب عند طه حسين إلى طبيعة المعلم فيه ، فبنية التفصيل بعد الإجمال بنية تعليمية من الطراز الأول<sup>(١)</sup> .

### سادساً : الجمل المتوازية وعلاقتها بحروف الجر :

لحروف الجر دور هام عند طه حسين فى تحقيق التوازى بين الجمل ، فهو من خلال حرف الجر والاسم المجرور به أو ما يعرف فى اصطلاح النحاة بشبه الجملة يمكنه أن يتحرك فى حرية تامة لتحقيق الإيقاع الموسيقى الذى ينشده .

فهو يقدم شبه الجملة الجار والمجرور على الفاعل ليحقق هذا التوازى ؛ كما فى قوله :

- تندى له الجباه

ويتصبب له العرق

(١) د. عز الدين إسماعيل أنا المتكلم طه حسين ، ص ٢ . مجلة فصول ، المجلد التاسع ، العددان

الأول والثانى ، أكتوبر ١٩٩٠م

وفى قوله : - قد ثاب إليه حزمه وعزمه

وعاد إليه حده وجده

وفى قوله : - قد ثاب إليه الأمن

وعادت إليه الطمأنينة

وفى قوله : - يختلط فيه هذا كله

ويشتبه فيه هذا كله

وفى قوله : - وقد جاشت فى نفسه عواطفه الثائرة

واضطربت فى رأسه خواطره الحمراء

- ويقدم شبه الجملة الجار والمجرور على المفعول به ؛ كما فى قوله :

- يثير فى نفسك القلق

ويبعث فى قلبك الخوف

وفى قوله : - أصف لك ما لا يوصف

وأصور لك ما لا سبيل إلى تصويره

وفى قوله : - فرأى فيها ما رأى

وسمع فيها ما سمع

وفى قوله : - فتبعث من أفواها أصواتاً قصيرة حلوة

وتبعث فى أجنحتها خفقات يسيرة

وفى قوله : - اقترفت من الإثم مثل ما اقترفوا

واجترحت من الذنب مثل ما اجترحوا

وفى قوله : - فلن أعصى لك أمراً

ولن أرد عليك قولاً

وفى قوله : - لا أحب منهم أحداً

ولا أبغض منهم أحداً

ولن أتزوج منهم أحداً

- وقد يأتى بالجملة الاسمية التى خبرها شبه جملة ( جار ومجرور ) ،  
فيقدم الجار والمجرور على المبتدأ ؛ فى حالة جواز تقديمه أو عدم تقديمه ؛  
كما فى قوله :

- منها الخير

ومنها الشر

وفى قوله : - ومنهن الراضية كل الرضا

ومنهن الساخطة كل السخط

- وإذا كانت الجملة الاسمية مكونة من مبتدأ وخبر وشبه جملة فإننا نجده  
يقدم شبه الجملة على خبر المبتدأ ؛ كما فى قوله :

- فأناله زوج

وملكى للملكه تبع

- وإذا كانت الجملة الاسمية المكونة من مبتدأ وخبر وشبه جملة منسوخة  
بفعل ناسخ فإنه يقدم الجار والمجرور على خبر الناسخ ؛ كما فى قوله :

- فكان عليها ساخطاً أشد السخط

وكان لها محبباً أشد الحب

وكما فى قوله : - فأصبح الشذوذ لنا طبيعة

وأصبح الجموح لنا فطرة

وإذا كان خبر الفعل الناسخ شبه جملة ( جار ومجرور ) فإنه يقدمه على اسمه ؛ كما فى قوله :

- فقد يكون من بينهم من هو خليف بالإعجاب

وقد يكون من بينهم من هو جدير بالسخرية

وإذا كانت الجملة الفعلية مكونة من فعل وفاعل وشبه جملة ؛ فإنه فى مواضع عديدة يقدم شبه الجملة الجار والمجرور على الفعل والفاعل ؛ كما فى قوله :

- ومن هذا الباب قد دخلت الوصائف آنفًا

ومن هذه الجدران قد نبعت أنغام الموسيقى

كل هذه النماذج تؤكد لنا أن شبه الجملة ( الجار والمجرور ) يمثل ركنًا أساسيًا فى بناء الجملة بشكل عام عند طه حسين وفى بناء الجمل المتوازية بشكل خاص عنده ؛ فهو يقدم شبه الجملة على الفعل والفاعل ، ويقدمه على الفاعل والمفعول به ، ويقدمه على المفعول به فقط ؛ وإذا كانت الجملة اسمية فإنه يقدم شبه الجملة ( الجار والمجرور ) على الخبر ؛ وإذا كانت هذه الجملة منسوخة بفعل ناسخ أو بحرف ناسخ فإنه يقدم الجار والمجرور على خبر الناسخ .

وهذا التقديم - فى رأى - لا يقتضيه إلا أمر واحد هو الموسيقى أو التوازن بين الجمل الذى يحرص عليه طه حسين أشد الحرص .

وهناك ظاهرة أخرى تتعلق بشبه الجملة ( الجار والمجرور ) ؛ وهى عدم خلو الجملة التى يبنيتها طه حسين منه ؛ أى جملة سواء أكانت جملة فعلية أم اسمية فقلما نجد جملة عنده خالية من حرف الجر والاسم المجرور به ؛ ولو

ذهبنا نحصر ذلك لصعب لكثرة ؛ ولكننا نسوق بعض النماذج :

كما فى قوله : - شقى فيه وسعد

ونعم فيه وابتأس

وكما فى قوله : - يتسع من ضيق

وينفج من تقارب

وكما فى قوله : - يستعدون لكل حادثة

ويتأهبون لكل كارثة

وكما فى قوله : - قد غيرت من رأيها

وعدلت عن سيرتها

وكما فى قوله : - قد وصلت إلى دخيلة نفسه

ووقفت على جلية أمره

وكما فى قوله : تصل إلى نفوس الرقود أحياناً

كما تصل إلى نفوس الأيقاظ أحياناً

بل وأكثر من ذلك قد يكون فى الجملة أكثر من حرف جر ؛ أى أكثر من

شبه جملة ( جار ومجرور ) ؛ كما فى قوله :

- لتستمع باليقظة كما استمتعت بالنوم

ولتنعم بالشعور كما نعمت باللاشعور

وكما فى قوله : - فقد أحس نفسه ثقيلة عليه لا يستطيع تحريكها إلى التفكير

وأحس جسمه ثقيلًا عليه لا يستطيع دفعه إلى النشاط



وكما فى قوله : - سحرته عن نفسه وعما حوله بسيرتها

تسحره عن نفسه وعما حوله بقصصها

ففى هذا المثال الأخير ثلاثة أحرف للجبر بمعنى أن فى الجملة ثلاثة أشباه للجمل ( جار ومجرور ) ؛ الأمر الذى يؤكد أن شبه الجملة ( الجار والمجرور ) يمثل مكوناً أساسياً من مكونات الجملة عند طه حسين بصفة عامة ، ومكوناً أساسياً من مكونات الجمل المتوازية عنده بصفة خاصة .

وقد يكون فى الجملة المتوازية أكثر من ثلاثة أحرف للجبر ؛ بمعنى أن يكون فيها أكثر من ثلاثة أشباه للجمل ( جار ومجرور ) ؛ كما فى :

- أنت تريد أن تلهو عن غموض شهر زاد بما تقص عليك من حديث وهى أيضاً تريد أن تلهو عن وضوحك بما تقص عليك من أخبار .

ففى هاتين الجملتين المتوازيتين أربعة أشباه للجمل : عن وضوحك ، بما تقص ، عليك ، من أخبار .

وقد يكون فى الجملة خمسة أشباه للجمل ( جار ومجرور ) كما فى :

- كانت تنظر إلى مجلس الحرب فى كثير من السخرية وفى كثير من الرثاء  
كانت تنظر إلى أبيها فى كثير من الرحمة والحب وفى كثير من الإكبار  
والإجلال

كل هذه النماذج التى سقتها تؤكد بما لا يدع مجالاً للشك أن شبه الجملة { الجار والمجرور } كان له دور هام فى تحقيق التوازن الموسيقى بين الجمل ؛ ولم يكن يأتى به طه حسين اعتباطاً وإنما لهدف أساسى من أهدافه فى الكلام عامة وهو الجمال الصوتى والإيقاع الموسيقى .

## الخاتمة

نستطيع فى هذه الخاتمة أن نرصد أهم النتائج التى وصلت إليها هذه الدراسة ؛ وهى متمثلة فى الآتى -

١ - كان لثقافة طه حسين ووعيه بالتراث العربى وتمثله له أثر كبير فى تحقيق التوازن الموسيقى بين الجمل ؛ فها هو قد استمع إلى الشعراء والأدباء فى عصور العربية المختلفة ، وتذوق أنماط الجمل العربية ؛ ولذا نجده يستمد كثيراً من آيات القرآن فى بنائه لجملة ؛ كما فى قوله : - تصل إلى نفوس الرقود أحياناً ، كما تصل إلى نفوس الأيقاظ أحياناً أخرى ؛ لهذا التضاد بين الرقود والأيقاظ مستقى من قوله تعالى : ﴿ ونحسبهم أيقاظاً وهم رقود ﴾

- وكما فى قوله : « قد غيرت فى رأيها ، وعدلت عن سيرتها الأولى » - مستمد من قوله تعالى : ﴿ قال خذها ولا تخف سنعيدها سيرتها الأولى » .

- وكما فى قوله : « يروته قصيراً ، وأراه طويلاً » مستمد من قوله تعالى : ﴿ إنهم يروونه بعيداً ، ونراه قريباً ﴾ .

- وكما فى قوله : « اقترفت من الإثم مثل ما اقترفوا ، واجترحت من الذنب مثل ما اجترحوا » ، مستمد من قوله تعالى : ﴿ وليرضوه وليقتروا ما هم مقترفون ﴾ ؛ ومن قوله تعالى : ﴿ أم حسب الذين اجترحوا السيئات أن نجعلهم كالذين آمنوا وعملوا الصالحات ﴾ .

- وكما فى قوله : « يمسه جناح من لين ، أو يصيبها عارض من شدة » ؛ مستقى من قوله تعالى : ﴿ واخفض لهما جناح الذل من الرحمة ﴾ .

- وكما فى قوله : « فلن أعصى لك أمراً ، ولن أرد عليك قولاً » . مستمد

من قوله تعالى : ﴿ قال ستجدنى إن شاء الله صابراً ، ولا أعصى لك أمراً ﴾ .

- وكما فى قوله : « فأنا أراك الآن رأى العين ، وأنا أعرفك الآن حق المعرفة » . مأخوذ من قوله تعالى : ﴿ يرونهم مثليهم رأى العين ﴾ .

ولو ذهبنا نستقصى رافد القرآن فى جُمل طه حسين لطال بنا الأمر ولكن المحقق أن النبع الأول الذى استقى منه طه حسين بناءه لجملة كان هو القرآن الكريم ؛ وهناك علم من أعلام العربية تأثر طه حسين بأسلوبه وهو الجاحظ ؛ وكذلك تأثر بأبى حيان التوحيدى ، والغريب أنه رغم اتفاقه مع أبى العلاء فى كثير من الأمور ورغم أنه كتب عن أبى العلاء كثيراً فإنه لم يأخذ أسلوبه وإنما أخذ جانباً من فكره ونظرتة للأمور والحياة .

٢ - تنوعت الأنماط الشكلية للجمل المتوازية عند طه حسين ؛ ما بين أنماط مألوفة وضعها النحاة مراعين رتبة الفعل والفاعل والمفعول به فى الجملة ؛ وأنماط أخرى خرج فيها عن قواعد النحاة وترتيبهم لبناء الجملة ؛ فجاءت الجمل فى غمطين : غمط مألوف يراعى الرتبة ؛ وغمط غير مألوف لا يراعى الرتبة . وكان أكثر الأنماط التى استعملها طه حسين هو ذلك النمط المألوف لدى النحاة المكون من : فعل + فاعل + مفعول به + شبه جملة .

٣ - كان للإطناب دوره عند طه حسين فى تحقيق التوازي بين الجمل ؛ بصورة الثلاث : التكرار ، والترادف ؛ والتفصيل بعد الإجمال ؛ وإن كان الإطناب بالترادف هو أكثرهم عنده ، يليه الإطناب بالتكرار ، ثم يأتى فى المؤخرة الإطناب عن طريق التفصيل بعد الإجمال .

٤ - أدى الجناس الناقص دوراً هاماً فى تحقيق التوازي بين الجمل ؛ وفى تحقيق إيقاع موسيقى للجمل أكثر علواً ؛ فأضاف للجمل المتوازية موسيقى

داخلية تضاف إلى الموسيقى الخارجية المتمثلة فى هذا التوازى .

٥ - لم يكن التضاد الدلالى بين الكلمات عند طه حسين يستدعيه المعنى ؛ وإنما كان يقحمه فى بعض الأحيان لا لشيء إلا لتحقيق التوازى الموسيقى من ناحية ؛ أو لأنه كان يملئ أو يلقى على جمهور ؛ فكان التضاد بين الكلمات وسيلة يتخذها لاستحضار الفكرة ونطق الجمل التى تتلو الجمل وعدم التوقف عن الكلام من ناحية أخرى ؛ فهو قد يلجأ إلى التضاد كوسيلة يشغل بها المتلقى حين استقبال الفكرة التالية ؛ فنجدته يقول مثلاً :

- ولم يدر أناثم هو أم يقظان

أحالم هو أم عالم

أعاقل هو أم معجون

مثل هذا التضاد المتكرر ليس له إلا هدفان : تحقيق التوازى بين الجمل ، وإعطاء العقل فرصة لاستحضار الفكرة وترتيب الكلام .

٦ - هناك علاقة قوية بين الأداء اللغوى المنطوق والجمل المتوازية عند طه حسين ؛ فالأداء اللغوى المنطوق يميل إلى أن يكون إيقاعياً بشكل ملحوظ ، لأن الإيقاع من الناحية الفسيولوجية يساعد على التذكر ؛ ولا تكون الكلمات إلا أصواتاً ؛ ولا يودى ذلك إلى التحكم فى أنماط التعبير فقط ، بل إلى التحكم فى العمليات الفكرية أيضاً ، ولكى يحل طه حسين مشكلة الاحتفاظ بالتفكير المعبر عنه لفظياً ، واستعادته على نحو فعال قام بعملية التفكير نفسها داخل أنماط حافزة للتذكر ، صيغت بصورة قابلة للتكرار الشفاهى ، ومن هنا جاءت الجمل متوازية لتكون قابلة للحفظ والتذكر السهل .

ويحكى كل من تتلمذ على يد طه حسين أنه كانت له طريقة فى الكلام اعتادها طلابه ، فإن ندد عنهم تقييد لفظ كلامه فى موضع لم يعجزهم

استحضار الوجه الذى كان من الممكن أن يكون عليه نص هذا الكلام ، وذلك لكثرة ما اعتادوا سماعه منه ، ونتيجة لما ألفوه من معجمه وتراكيبه ؛ ومن أشهر هؤلاء التلاميذ العالم الجليل شوقى ضيف الذى ما يرح يردد بين الفينة والفينة فى كتبه جملة طه حسين العذبة : « ومهما يكن من شيء » .

٧ - كان لأدوات الربط المتمثلة فى حروف الجر ، وحروف العطف دور هام فى تحقيق التوازي بين الجمل ؛ فحرف الجر والاسم الداخلى عليه يكونان شبه جملة { جار ومجرور } ؛ من خلال هذه الوحدة اللغوية حقق طه حسين التوازي المنشود ؛ فقد كان يقدم شبه الجملة على الفعل والفاعل معاً ؛ وكان يقدمه على الفاعل فقط ، وكان يقدمه على المفعول به فقط ، وكان يقدمه على المبتدأ ، وكان يقدمه على الخبر ؛ وهذا يعنى أنه كان يحرك شبه الجملة بحرية تامة ويضعه فى المكان الذى يحقق له فيه التوازي بين الجمل .

كما أنه حقق بحروف العطف التوازي أيضاً ؛ فهو يأتى بالجملة فى شكلها البنىوى الذى قرره النحاة ثم يعطف عليها جملة أخرى مساوية لها فى المقدار وموازية لها فى البناء النحوى ؛ فهو يقول مثلاً : يجد سعادته فى هذا الضيق .

هو هنا يريد أن يحدث توازياً فلا يسعفه إلا حرف العطف الذى يعطف له جملة على هذه الجملة تطابقها فى البناء النحوى ؛ وهى :

ولذته فى هذا الألم ؛ فتصير الجملتان :

- يجد سعادته فى هذا الضيق

ولذته فى هذا الألم

وبذلك تحقق لها التوازي الذى ينشده عن طريق حرف العطف ، والمعطوف .

## مصادر ومراجع الفصل الثانى

- ١ - أبو حيان التوحيدى : الإشارات الإلهية ، تحقيق د. وداد القاضى ، دار الثقافة ، بيروت ، ١٩٧٣ م .
- ٢ - أبو هلال العسكري : كتاب الصناعتين الكتابة والشعر ، تحقيق على البجاوى ومحمد أبو الفضل إبراهيم ، مطبعة البابى الحلبي ، ١٩٥٢ م .
- ٣ - أحمد مصطفى المراغى : علوم البلاغة : البيان والمعانى والبديع ، القاهرة، د. ت .
- ٤ - الجاحظ : البيان والتبيين ، تحقيق عبد السلام هارون ، مطبعة الخانجي ، القاهرة ، ١٩٨٥ م .
- كتاب الحيوان ، تحقيق عبد السلام هارون ، مطبعة البابى الحلبي ، القاهرة ، د. ت .
- ٥ - سيبويه : الكتاب ، تحقيق عبد السلام هارون ، مطبعة الخانجي ، القاهرة ، ١٩٨٧ م .
- ٦ - طه حسين :
  - من حديث الشعر والنثر ، دار المعارف ، القاهرة .
  - على هامش السيرة ، ٣ أجزاء ، دار المعارف .
  - أحلام شهر زاد ، دار المعارف ، سلسلة اقرأ . العدد الأول .
- ٧ - عز الدين إسماعيل : أنا المتكلم طه حسين ، مجلة فصول ، المجلد التاسع ، العددان ، الأول والثانى ، أكتوبر ١٩٩٠ م .
- ٨ - محمود السمران : علم اللغة ، مقدمة للقارئ العربى ، دار الفكر العربى ، ١٩٩٢ م .

# المحتويات

## الصفحة

## الموضوع

٣	..... مقدمة
٥	..... الفصل الأول : المحاذاة في اللغة العربية
٧	..... - المدخل
١٢	..... - القسم الأول : المحاذاة الصوتية
٣٧	..... - القسم الثاني : المحاذاة الصرفية
٤٨	..... - القسم الثالث : المحاذاة النحوية
٦٣	..... الفصل الثاني : الجمل المتوازية عند طه حسين
٦٥	..... - تقديم
٧١	..... - أولاً : أنماط الجمل المتوازية
١١٢	..... - ثانياً : الجمل المتوازية والبناء النحوي
١١٧	..... - ثالثاً : الجمل المتوازية وعلاقتها بالتضاد الدلالي
١٢١	..... - رابعاً : الجمل المتوازية وعلاقتها بالتجنيس
١٢٤	..... - خامساً : الجمل المتوازية وعلاقتها بالإطناب
١٣٠	..... - سادساً : الجمل المتوازية وعلاقتها بحروف الجر ..
١٣٦	..... - الخاتمة



*Eldawlia*

الدولة للطباعة

---

٥ ش مكة متفرع من ش الكيلاني شلهوب  
دار السـلام

ت : ٧١٦٥٤٠٤ - موبايل : ٠١٢٣١٤٠٤٨٢



رَفَعُ

عبد الرحمن البخاري  
أسكنه الله الفردوس  
[www.moswarat.com](http://www.moswarat.com)

**[www.moswarat.com](http://www.moswarat.com)**

